كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار

للعلامة عز الدين بن عبد السلام بن غانم المقدسي
(ت ٦٧٨ هـ)

حققه وعلق عليه
علاء عبد الوهاب محمد

دار الفضيلة

دار الفضيلة
للنشر والتوزيع والتصدير
الإدارة: القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضي -
كلية البنات - مصر الجديدة - ت وفاكس: ٤١٨٩٦٦٥
المكتبة: ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات: دبي - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦

وكيلنا في المملكة المغربية:
دار الاعتصام
للطباعة والنشر والتوزيع
الدحماني عبد الكريم
35 - 33 الشارع الملكي (الأحباس). الدار البيضاء
الهاتف 30.42.85 - الفاكس 44.45.39

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقّق

إنَّ الحمد للّه ، نَحْمَدُهُ ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ باللّه من شرور أَنْفُسِنَا ومن سَيِّئَاتِ أعمالنا ، من يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَن يُضْلِل ، فَلَا هَادِيَ لهُ ، وأشهدُ أن لَا إِلٰه إِلَّا اللّه وحده لا شريك له ، وأشهدُ أن محمَّدًا عبده ورسولُه .

وبعـد :

فمن العبادات المهمة فى الإسلام التفكر فى مخلوقات اللّه سبحانه وتعالى ومحاولة البحث عن خصائص تلك المخلوقات ليكون الإقرار بالعبودية للّه الواحد الأحد عن دراية ويقين صادق عملًا بقوله عزّت قدرته : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [١] .

فعالم الحيوان عالم رحيب جدًّا كرحابة الأكوان العلوية ، ومن يسرّح الطرف فى خصائص الحيوانات وتكوينها وتصوّر مراحل حياتها وخدماتها الجلى لبنى البشر ، وكيف إنها تتزاوج وتتناسل ، وتعتنى بأولادها ، وتتفاهم فيما بينها وهى عَجْمَاء [٢] ، وتكسب رزقها ،

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٩١ .

(٢) لا تنطق .

وتميز الحيوان الذى يناصبها العَدَاء من الذى لا ضرر منه ، وكيف تُهاجر من قُطر لآخر طَلَباً للرزق أو الـمُناخ الملائم ، ثم تَعُود إلى مواطنها الأصلية فى الوقت المناسب بدون أن يختلف عليها الزَّمن أو تخفى عليها المعالم .

فمن ذا الذى يتدبر هذه الأُمور ولا يقف عندها مبهوتاً أمام عظمة البارىء المصوِّر جلَّت قدرته ؟ ثم لا يهتف قائلًا :

فَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ   تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الوَاحِدُ

قال الجاحظ : « من علَّم البعوضة أنَّ مِنْ وراء ظاهر جلد الجاموس دماً ، وأنَّ ذلك الدم غذاء لها ، وأنَّها متى طعنت فى ذلك الجلد الغليظ الشديد الصلب أنَّ خرطومها ينفذ فيه على غير معاناة ، ولو أنَّ رجلًا منَّا طعن جلده بشوكة لانكسرت الشوكة قبل أن تصل إلى موضع الدم ... والذى سخَّر لخرطوم البعوضة جلد الجاموس هو الذى سخَّر قمقم النحاس لإبرة العقرب » . انتهى .

إلٰهى قصرت الألسن عن بلوغ ثنائك كما يليق بجلالك ، وعجزت العقول عن إدراك كنه جمالك ، وانحسرت الأبصار دون النظر إلى سبحات وجهك ولم تجعل للخلق طريقاً إلى معرفتك إلَّا بالعجز عن معرفتك ، فاهدنا يا أرحم الراحمين ، صراطك المستقيم واشمل برحمتك من قال :

فِيكِ يَا أُعْجُوبَةَ الكَوْ   نِ غَدَا الفِكْرُ كَلِيلَا
أَنتِ حَيَّرتِ ذَوِى اللُّـ   ـبِّ وَبَلْبَلْتِ العُقُولَا
كُلَّمَا قَدَّمَ فِكْرِى فِيـ   ـكِ شِبْراً فَرَّ مِيلَا
نَاكِصاً يَخْبِطُ فِى عَشْـ   ـوَاءَ لَا يُهْدَى سَبِيلَا

* * *

من خلال بحثى فى تراثنا من عدة سنوات ، عثرت على مخطوط لعالم من علماء القرن السادس الهجرى ، وهو ابن غانم المقدسى .

ولقد جذبنى هذا المخطوط جذباً شديداً ، لما يتحلى به من أُسلوب أدبى وعظي راق ، وظننت أنه من مؤلفات الإمام ابن الجوزى – رحمه اللّه – ولكن بعد بحث لا يعرف الملل ، ثبت لى أنه من مؤلفات ابن غانم المقدسى ، وعذرى فى هذا الظن هو الشبه الشديد بين أُسلوب ابن غانم وأُسلوب ابن الجوزى ، ولأنه أول كتاب لابن غانم أطّلع عليه ، والحق أنى اكتشفت أن ابن غانم على قِلَّة مؤلفاته صاحب شخصية أدبية لا تطال .

وها أنا أُقدِّم لك أخى القارئ هذا الكتاب الجيد المفيد ، راجياً من الله – عَزَّ وَجَلَّ – أن تنتفع به .

واللّه أسأل أن يرزقنى حسن النية وسلامة القصد ، وأن يجمع لى بين صلاح الدنيا والآخرة .

علاء عبد الوهاب محمد

* * *

ترجمة المؤلف

هو عبد السّلام بنُ أحمد بن غانم بن على بن إبراهيمَ بن عساكر بن حسين ، عزّ الدين أحمد الأنصارى الشافعى المقدسى .

اشتهر بابن غانم المقدسى ، ولقب بعز الدين ، وكنى بأبى محمد ، حكيم ، صوفى ، واعظ .

نشأ فى القدس فى بيت مشهور بالتقى والصلاح وطلب العلم ، فجدّه هو الشيخ غانم بن على المقدسى . كان قدوة وسيداً من سادات المشايخ وأعيانهم وأعلمهم بطريق القوم ، وكان له زاوية باسمه فى قرية بورين من عمل نابلس .

وأبوه هو الشيخ أحمد بن غانم أبو العباس الأنصارى المقدسى . كان شيخاً جليلًا منقطعاً عن الناس ، مشتغلًا بأوراده وأذكاره وتلاوته ، لا يضيع أوقاته فى شىء من أُمور الدنيا ، ولا يتطلع إلى مشيخة أو رئاسة أو منصب .

وعمه هو عبد اللّه بن غانم أبو محمد الأنصارى المقدسى . كان من أعيان المشايخ مشهوراً بالخير والعبادة ومكارم الأخلاق ، وكان له زاوية معمورة فى نابلس .

وابن غانم المقدسى هو الواعظ المُطْبِق ، الشاعر الفصيح المفلق ، الذى نسج على منوال ابن الجوزى وأمثاله ، وهو أحد المبرزين فى الوعظ والنظم والنثر فى وقته ، ذُكِر أنه عمل مجلساً بدمشق ، فارتجل فيه خطبة مطلعها :

(الحمد للّه الذى ملأ الوجود جوداً وإحساناً ، وأسبغ على كل موجود من سوابغ نِعَمِه سرًّا وإعلاناً) ، وقد أورد خلال خطبته هذه مقطعات من شعره تتغنّى بالحب الإلهى تثير الوجد والحنين ، وتأخذ بمجامع القلوب .

وقد أورد له الكُتَّاب أشياء حسنة كثيرة مليحة ، وكان له قبول عند الناس ، ذُكِرَ أنه حَجّ مرّة ، فتكلم تجاه الكعبة المعظَّمة ، وكان في الحضرة تاج الدين الفزارى من الشام ، والشيخ تقى الدين بن دقيق العيد من مصر ، وابن العُجَيل من اليمن ، وأمير مكة وغيره ، فارتجل خطبة أولها :

(الحمد للّه ذى القدرة التى لا تضاهى ، والحكمة التى لا تتناهى ، والقسمة التى لا يضيق خلقُ أن يتعداها ، الذى تعزّز فى أزليته فلا يعرف الأول أُولاها ، وتسرمد فى أبديَّته فلا يدرك الآخِرُ أُخراها) .

وكانت وفاته - رحمه اللّه - بالقاهرة فى شوال من سنة (٦٧٨ هـ) ، وقبل وفاته كتب يقول :

إلٰهى أنت قلت ، وقولك الحق : أنا عند ظن عبدى بى ، فليظنَّ بى ما شاء ، فأنت على لطفك دللتنى ، وفى جنب جودك أطعمتنى ، وإلى كرم حرمك أوصلتنى ، فقد حَسُن بك ظنِّى ، على ما كان منِّى ...) إلى أن قال : (إلٰهى أنت أمرتنا بالوصيَّة ، عند حلول المنية ، فقد تهجّمت عليك ، وجعلت وصيتى إليك ، عند قدومى عليك ... إلخ) .

مِنْ تَصَانِيفه :

١ - الروض الأنيق فى الوعظ الرشيق - رسالة لطيفة فى الوعظ :
توجد منها نسخة خطية فى دار الكتب المصرية تحت رقم (٤٣٤) .

٢ - حل الرموز ومفاتيح الكنوز :
وتوجد منه نسخ خطية كثيرة فى دار الكتب المصرية منها :
- ٩٩ ص خط ٩٤١ هـ (تصوف تيمور ٣٥٠) .
- ٧٠ ق خط ١٠٥٥ هـ (تصوف ٤٢٨١) .
- ١٠٠ ص خط ١٠١٨ هـ (تصوف تيمور ٢٨٦) .
- ٣٩ ق خط ١١١٧ هـ (تصوف ٦٣) .

٣ – الحديث النفيس فى تفليس إبليس : وهى مناظرات له مع الشيطان ، وتوجد منه عدة نسخ خطية فى دار الكتب المصرية منها :

– ٣٣ ق خط ١١٤٣ هـ (تصوف ٣١٩) .

– ١٦ ق خط ١٠٨٣ هـ (تصوف ٣١٩٥) .

– ١٠ ق (الزكية ٤٠٨) .

٤ – الفتوحات الغيبية فى الأسرار القلبية .

٥ – كشف الأسرار ، ومناقب الأبرار ، ومحاسن الأخيار .

٦ – طَرْقُ الوسائل وتملّقُ السائل .

٧ – شرح حال الصحابة والأولياء .

٨ – مفاخرة الأزهار والنباتات الناضرات ، ومجاهدة الأطيار والجمادات الناطقات : توجد منها نسخة خطية فى دار الكتب المصرية ، كتبت سنة ١٨٤٠م بخط المستشرق يوحنا بن يوسف وارسى الفرنسى ، وهى تحت رقم (١٥٨٦) وتقع فى (٧٧) ورقة .

٩ – نزهة اللواحظ فى العبر والمواعظ .

١٠ – الأجوبة القاطعة لحَجّ الخصوم الواقعة فى كل العلوم .

١١ – الشجرة فى التصوف .

١٢ – رسالة فى شرح حديث : « السبعة الذين يظلّهم اللّه تعالى فى ظلّ عرشه » .

١٣ – إفراد الأحَد عن أفراد العَدد – رسالة لطيفة .

* * *

مَصَـادِر التَّرجَمَـة :

- الأعـلام للزركلى (٣٣٥/٣) .
- كشف الظنـون (١٤٨٥/٢) .
- هدية العـارفين (٥٧١/١) .
- البداية والنهاية (٢٨٩/١٣) عند دخول سنة ٦٧٨ هـ .
- شـذرات الذهب (٣٦٢/٥) .
- معجم المؤلفين (٢٢٣/٥) .
- مرآة الجنـان (١٩٠/٤) .
- إيضـاح المكنون (٢٤٦/١ ، ٨٤/٢) .

* * *

هذا الكتاب

كتاب (كشف الأسرار) من الكتب الأدبية الوعظية الممتعة جدًّا . وهو عبارة عن محاورات نثرية وشعرية بين الطيور والأزهار وابن غانم ، القسم الأول منها فى إشارات الأزهار ، والقسم الثانى فى إشارات الطيور ، والقسم الثالث فى إشارات الحيوانات .

وكان هدف المؤلف من تأليف هذا الكتاب هو توجيه الوعظ لأبناء جنسه من البشر وحثهم على الفضائل الأخلاقية وذلك على لسان الطيور تارة والأزهار تارة أخرى . وهذا أسلوب رائع اهتدى إليه المؤلف لمعرفته بطبيعة النفس البشرية الملولة النافرة للوعظ والإرشاد المباشر . وسوف يلمس القارئ من خلال تصفحه لهذا الكتاب مدى عبقرية ابن غانم الأدبية التى تميز بها ، والتى تذكرنا بأسلوب الإمام ابن الجوزى – رحمه اللّه – .

واستخدم ابن غانم فى كتابه جميع أساليب المحسنات البديعية من مجاز ، وكناية ، وجناس . كما استخدم أسلوب التلميح الجيد لتوصيل ما يريده ، مقتبساً من آيات القرآن الكريم .

وقد اختلف عنوان الكتاب فى المخطوطات التى اعتمدت عليها :

- ففى نسخة دار الكتب كان العنوان : كتاب المختار لكشف الأسرار فى مناقشة الطيور والأزهار .
- وفى نسخة مكتبة طلعت كان العنوان : كشف الأسرار عن حِكم الطيور والأزهار .
- وفى نسخة مكتبة نجم الدين كان العنوان : كشف الأسرار فى لغة الطيور والأزهار .
- وفى النسخة المطبوعة كان العنوان : كشف الأسرار فى حِكم الطيور والأزهار .
- وفى البداية والنهاية وغيره من المراجع : كشف الأسرار عن الحكم المودعة فى الطيور والأزهار .

- وفى نسخة جامعة كمبرج: كشف الأسرار فى حِكم الطيور والأزهار .

وقد رجحت اسم (كشف الأسرار فى حِكم الطيور والأزهار) لأنه أفضلهم وأصحهم ، ولأنه ورد على أكثر النسخ الخطية الموجودة للكتاب ، وكذا فى باقى المراجع التى أشارت للكتاب .

وقد طُبع كتاب (كشف الأسرار) - على حسب علمى - ثلاث طبعات :

١ - طبع بمصر سنة (١٢٧٥ هـ) طبعة حجر لصاحبها يوسف ببر ، بحثت جاهداً عن هذه الطبعة فلم أتمكن من العثور عليها .

٢ - طبع بمصر سنة (١٣٣٠هـ) فى المطبعة الحسينية المصرية على نفقة عبد الفتاح أفندى أحمد صاحب مكتبة الكمال بشبين الكوم . والحمد للّه عثرت على هذه الطبعة فى مكتبة الحاج / طه عاشور، واستعنت بها فى تحقيق الكتاب مع باقى المخطوطات .

٣ - طبع بمدينة دمشق سنة (١٤١٠هـ) فى دار الطباع للطباعة والنشر والتوزيع ، بتحقيق الدكتور مختار هاشم . وقد تفضل الحاج / طه عاشور صاحب دار الفضيلة بإعارتى هذه النسخة كى أستفيد منها قبل طبع الكتاب مرة أُخرى .

وقد ذكر الدكتور مختار فى مقدمة كتابه أنه عثر على نسخة مطبوعة للكتاب ، طبعت فى مدينة باريس المحروسة بدار الطباعة السلطانية سنة (١٨٢١م)، واعتنى بتصحيحها وترجمتها من اللغة العربية إلى الفرنسة الفقير (يوسف أليودوروس غرسين) .

كما ذكر أنه عثر على نسخة طبعت فى القاهرة سنة (١٢٩٠هـ) على ذمة شيخ السادة الحضارمة الشيخ صالح باعيسى .

وهذا إن دل على شيء ، فإنما يدل على أن كتاب (كشف الأسرار) لابن غانم قد لقى القبول والذيوع بين الناس ، وهذا لكثرة النسخ الخطية الموجودة له فى المكتبات .

كتاب كَشف الأَسْـرارِ
وصِحَّـة نسـبته لابنِ غَانِـم الـمَقْـدِسى

اتفقت جميع النسخ الخطية التى اطلعت عليها على نسبة كتاب (كشف الأسرار) لابن غانم المقدسى، كما اتفقت المراجع التى نظرت فيها على نسبة الكتاب له ، فقد ذكره :

– حاجي خليفة فى كشف الظنـون (٢/ ١٤٨٥) .

– خير الدين الزركلى فى الأعـلام (٣/٣٥٥) .

– البغدادى فى هدية العارفين (١/٥٧١) .

– ابن كثير فى البداية والنهاية (١٣/٢٨٩) .

* * *

النُّسَخ الخطيَّة لكتاب كَشف الأَسْرارِ

لكتاب كشف الأسرار نسخ خطيّة كثيرة فى دار الكتب المصرية العامرة ، فيوجد بها النسخ الآتية :

- ٧٣ ورقة خط ٩٨٢ هـ (أدب ٧٧٦٠) .
- ٣٧ ورقة خط ١١١١ هـ (أدب طلعت ٤٤٩١) .
- ١٥٤ صفحة خط ١٠١٣ هـ (أدب تيمور ٢٥٧) .
- ٣٦ صفحة (أدب تيمور ٧٥٥) .
- ٥٠ صفحة خط ١٢٦٧ هـ (الزكية ١٧١) .
- ٣٤ صفحة (أدب طلعت ٤٧٢٣) .
- ١٨ لوحة عن نسخة الدار – رقم ١٧١ مجاميع . م (ز ٣٩١٨٩) .

وهناك نسختان من كتاب كشف الأسرار فى قسم المخطوطات العربية بمكتبة جامعة كمبرج :

الأُولى : تتألف من (٥١) ورقة قياس ٢٠,٨ × ١٥,٤ – الناسخ محمد عابدين بن إبراهيم عابد .

الثانية : تتألف من (٦٠) ورقة قياس ١٩,٥ × ١٢,٦ .

* * *

وَصف النُّسَخ الخطيَّة التى اعْتَمَدت عَلَيْهَا في تَحْقِيق الكِتَاب

قد يَسَّر اللّه لى وحصلت على أربع نسخ من كتاب (كشف الأسرار) :

١ – نسخة مكتبة دار الكتب المصرية :

في مجلد بقلم معتاد – مسطرتها (١٧) سطر – مقاس الصفحة ٢١,٩ × ١٥,٥ – تقع في (٧٣) ورقة – ورقمها (٧٧٦٠ أدب) كتبت سنة ٩٨٢ هـ ، وهى نسخة عليها تصحيحات ومقابلة على نسخة أُخرى .

٢ – نسخة مكتبة طلعت التابعة لدار الكتب المصرية :

في مجلد بقلم معتاد حسن – مسطرتها (١٩) سطر – مقاس الصفحة ٢١ × ١٦ – تقع فى (٣٧) ورقة – ورقمها (٤٤٩١ أدب طلعت) ميكروفيلم رقم (١٢٨٤٣) – كتبت سنة ١١١١ هـ على يد كاتبه العبد الفانى محمد محيى الدين إمام زاوية سيدى عبد الوهاب الشعرانى ، وهى نسخة محلاة برسوم ملونة .

٣ – نسخة مكتبة الشيخ نجم الدين الخاصة :

فى مجلد بقلم معتاد حسن – مسطرتها (٢١) سطر – مقاس الصفحة ٢٠ × ١٤,٥ – تقع فى (٤٠) صفحة – بها نقص يسير من أولها – بدون تاريخ نسخ .

٤ – نسخة مكتبة تيمور التابعة لدار الكتب المصرية :

فى مجلد بقلم معتاد حسن – مسطرتها (٢١) سطر – مقاس الصفحة ٢٢ × ١٦ – تقع فى (٣٦) صفحة – ورقمها (٧٥٥ أدب تيمور) ميكروفيلم رقم (٢٧٨٥٥) .

* * *

عملي في الكتاب

كان عملي فى تحقيق الكتاب سائراً - بفضل اللّه تعالى - وفق الخطوات التالية :

١ - قارنت بين النسخ التى بحوزتى مقارنة دقيقة ، بغية الوصول بالنص إلى أقرب صورة صحيحة وواضحة ، ولم أثبت فى مجموع المتن أيًّا منها ، بل لفقتُ بينها واخترت ما رأيته مناسباً وموصلًا إلى النص السليم الذى قصده المؤلف .

٢ - لم أشر إلى الاختلافات الكثيرة بين النسخ لكثرة ذلك ، وحتى لا أثقل الهوامش .

٣ - أعملت جهدى لضبط النص ، وشرح ما غمض من ألفاظه ، وشكلت ما رأيته بحاجة إلى الشكل .

٤ - خرجت الآيات التى أشار إليها المؤلف .

٥ - لم أكثر التعليقات والحواشى فى الهامش حتى لا أخرج بالكتاب عن هدفه الذى أراده المؤلف .

وإنى أرجو أن أكون قد وفقت إلى خدمة هذا الكتاب ، وإخراجه بصورة صحيحة ، فإن كنت أصبتُ فمن اللّه سبحانه ، وإن أخطأت فمن نفسى .

إِنْ تجدْ عَيْباً فَسُدَّ الخللا جَلَّ من لَا عَيْبَ فِيه وَعَلَا

علاء عبد الوهاب محمد

* * *

كتاب المختار لكشف الاسرار في منافشة الطيور والازهار

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العلامة لسان الفصحاء والمتكلمين
عز الدين غانم بن عبد السلام المقدسي رضي الله عنه وارضاه وجعل
الجنة مثواه الحمد لله البعيد في قربه القريب في بعده المتعالي
في رفيع مجده عن الشبه وضده الذي اوجد بقدرته الوجود بعد
ان كان عدما واوجد كل موجود موجود حكما وجعل العقل
بينهما حكما ليميز بين الشبه وضده والهمه بما علمه نعلم من مذاق
مصابه من حلاوة شهده فمن نكر بصحيح قصده ونظر بتوفيق
رشده علم ان كل مخلوق موثوق في قبضتي شقاوته وسعده
مرزوق من خزاين نعمه ورفده ما يفتح الله للناس من رحمة فلا
ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده فلو فتحت عين بصيرتك
واصغيت بسمع يقظتك لاسمعك كل شي موجود ما يجده من متقلبات
وجده وما يكابده من وجدان بعده الم تسمع للنسيم كيف تنفس
اسفا لبكا السحاب على جزره ومده وتاوه لهفا على تبسم البرق
لما سمع قهقهة رعده الم تسمع الربيع ماهو يبشرك بورود وروده
واخبرك بنشور ورده وشرود برده وسمع الليك بانقلاب الشتاء

الصَّفحة الأُولى من نُسخة دار الكتب المصرية

ليلتقطوا حبة المحبة في مقعد صدق عند مليك مقتدر

فوصلوا حين حصلوا وانفصلوا حين وصلوا فانظروا اذا

الحجب قد رفعت والاكوان قد وضعت والاحباب

قد جمعت فهل لاذن قد سمعت . شعرا

يا قلب بشراك ايام الرضا رجعت

وهذه الدار بالاحباب قد جمعت

اما ترى نسمات الحي قد عبقت

اما سناها بروق البرق قد لمعت

فعش هنيئا بوصل غير منفصل

ممن تحب فحجب الهجر قد رفعت

وانظر جمال الذي من اجل رؤيته

قلوب عشاقه من حبه انصدعت

تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

على يد الفقير محمد بن يحيى الربماوي

يوم السبت في العشر الاخير من

شهر ذي القعدة من شهور

سنة اثنين وثمانين

وتسعمايه

الصَّفحة الأَخيرة من نُسخة دار الكتب المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله البعيد في قربه • القريب في بعده المتعالي
في مجده • عن هزل القول وجده • المقدس في رفيع مجده •
الذي أوجد ما كان عدما • وأودع كل موجود حكما •
ليميز بين الشيء وضده • وألهمه بما علمه فعلم مداو مآثر
من شهده • فمن تفكر بصحيح قصده • ونظر بتوفيق رشده
علم أن كل مخلوق في قبضة شقايه وسعده • مرزوق
من خزائن نعمه ورفده • ما يفتح الله للناس من رحمة
فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده •
فلو صفت عين بصيرتك • وانجلت مرآة سريرتك •
وأصغيت بسمع تيقظك • لأسمعك كل موجود ما يجد
من فقد أن وجده • وما يكابد من وجدان فقده •
ألم تسمع إلى النسيم كيف تنسم أسفا لبكا السحاب على
[illegible] بعده • وتأوه أسفا على تبسم البرق لما سمع من
تهتهه [illegible] فاسمع إلى الربيع فها هو قد بشرك
بورود ورده ... بشر وروده وسعى إليك
بانقلاب الشتا وهزمه ورده • ووشى إليك القبول
بوشي الروض وبرده • وشكى إليك البان ما بان من
تمايل قده • وأنهى إليك الأقحوان ما حاز من ألوان

الزهر وجنده • وصفقت أعلامه المعلمة بسعده •
فوثب إليه النرجس قائما للقيام بوروده • وأقبل الشقيق
بتشقيق ثوبه وقده • فكأنه في حمرة خده • وشكى
إليك الجلنار حر نار بعده وصده • وقام العندليب
على عوده الرطيب بقده • وباح العاشق بما بكا به
من هوى زينبه وهنده • وهام في جلوات خلواته
بما سمعه من طيب نجده • فعرها ربا إلى من يعلم خفايا
ما أبداه وما لم يبده • فالعارف من شكر سوابغ النعم
واحتقر معادن الحكم ولم يقنع من اللبن إلا بزبده •
وأن الله ما أحدث حادثا وأهمله بل كل واقف على حده •
باق على حفظ عهده • مقر بتصديق وعيده ووعده •
وإن من شيء إلا يسبح بحمده أحمده وأسأله توفيق
حمده وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
في علو مجده وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
الذي أنزل عليه في محكم كتابه بيان رفيع قدره وقدره
سبحان الذي أسرى بعبده صلى الله وسلم عليه
وعلى آله وصحبه وعشيرته وجنده ولعبد
فإني نظرت بعين التحقيق • فرأيت بنور الصدق
والتوفيق • أن كل مخلوق مقر بوجود الخالق • وكل

الورقة الأُولى من نُسخة مكتبة طلعت

فاذا الحجب قد رفعت • والاكواب قد وضعت
والاحباب قد جمعت • فلا عين رات • ولا اذن سمعت
ولا خطر علي قلب بشر • فالحذر الحذر الحذر

وقال في ذلك

يا قلب بشراك ايام الرضى رجعت • وهذه الدار بالاحباب قد جمعت
اما ترى نفحات الحي قد عبقت • انفاسها وبروق القرب قد لمعت
فعش هنيا بوصل غير منفصل • بمن تحب وحجب الهجر قد رفعت
وانظر جمال الذي من اجل رويته • قلوب عشاقه في حبه انصدعت

وقال اخر

لما رايت بني الزمان وما بهم • خل صدوق للشدائد اصطفي
فعلمت ان المستحيل ثلاثة • الغول والعنقاء والخل الوفي

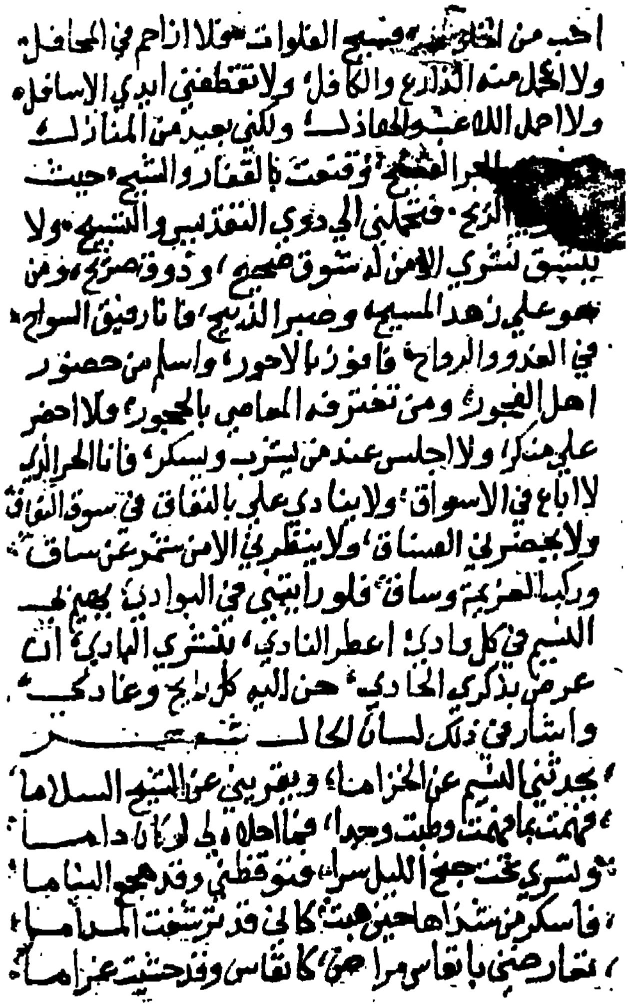
وبذلك تم في هذا الكتاب الكلام • وعلى سيدنا
محمد افضل الصلاة واشرف السلام • وكان الفراغ

من كتابته في يوم الاربعا سابع عشر شوال الخير
من شهور سنة احد عشر ومائة والف من الهجرة النبوية
على صاحبها افضل الصلاة والسلام على يد كاتبه
العبد الفاني محمد يحيى الدين امام
زاوية سيدي عبد الوهاب الشعراني
نفعنا الله تعالى ببركاته
والمسلمين
اجمعين

الورقة الأَخيرة من نُسخة مكتبة طلعت

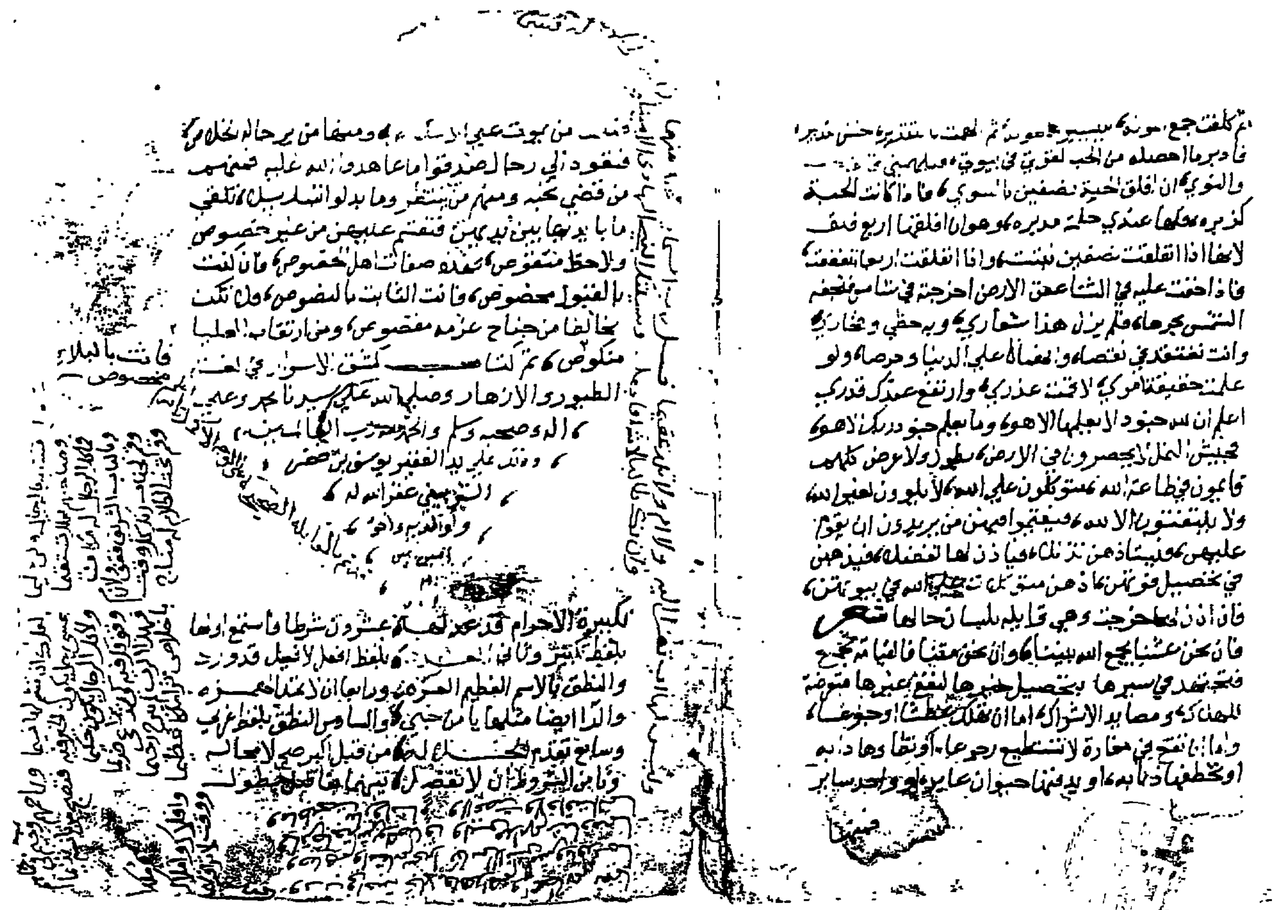


الورقة الأولى من نُسخة مكتبة تيمور



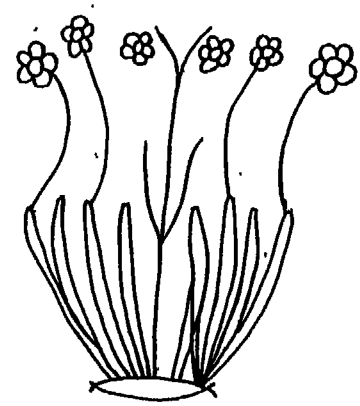
أحب من الخلو [illegible] ويصحب الفلوات ولا ازاحم في المحافل
ولا احل منه الذروة والكاهل ولا تقتطفني ايدي الاسافل
ولا احل اللاعب والحافل ولكني بعيد من المنازل
[illegible] الجر المنهج وقنعت بالقفار والشيح حيث
[illegible] الريح فتحملني الى دعوى التعذيب والتسبيح ولا
يشتبق لنشري الا من له شوق صحيح وذوق صريح ومن
هو على زهد المسيح وصبر الذبيح فانا رفيق السواح
في الغدو والرواح فاموز بالاجور واسلم من حضور
اهل الفجور ومن تعترفه المعاصي بالجحود ولا احضر
على منكر ولا اجلس عند من يشرب ويسكر فانا الحر الذي
لا اباع في الاسواق ولا ينادى علي بالنفاق في سوق التواق
ولا يحضرني الفساق ولا ينظرني الا من شمر عن ساق
وركب العزيمة وساق فلو رايتني في البوادي يهيم بي
النسيم في كل وادي اعطر النادي بنشري الهادي ان
عرض بذكري الحادي حن اليه كل رائح وغادي
واشار في ذلك لسان الحال شعر
يحدثني النسيم عن الخزامى ويقرئني عن الشيح السلاما
فهمت بما فهمت وطبت وجدا فما احلاه لي لو كان داما
وتسري تحت جنح الليل سرا فتوقظني وقد هجع النياما
فاسكر من شذاها حين هبت كاني قد ترشفت المداما
تعارضني بانفاس مراضى كانفاس وقد حنيت غراما

أوّل صفحة من نُسخة نجم الدّين

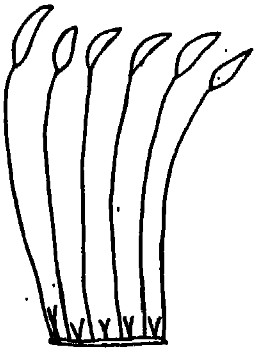


الورقة الأَخيرة من نُسخة نجم الدِّين

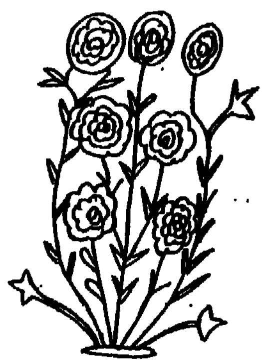
النرجس



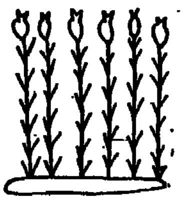
اللينوفر



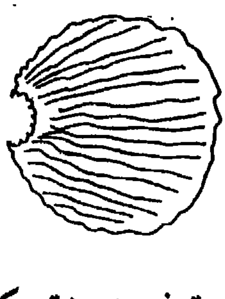
الورد



البان



النسيم

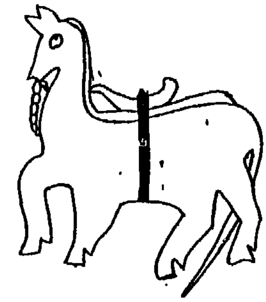


بعض الرسومات الموجودة فى نسخة مكتبة طلعت

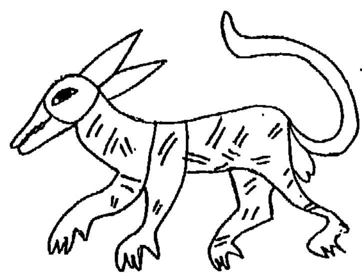
الجمل



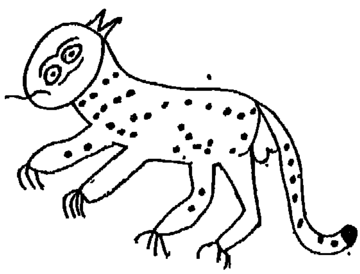
الفرس



الكلب

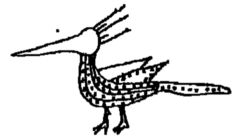


الفهد



بعض الرسومات الموجودة فى نسخة مكتبة طلعت

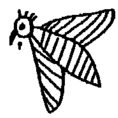
الهدهد



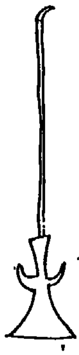
النحلة



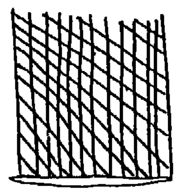
الفراش



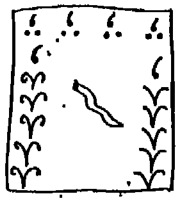
الشمعة



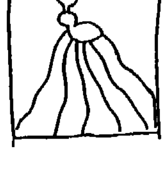
النار



الدودة



العنكبوت

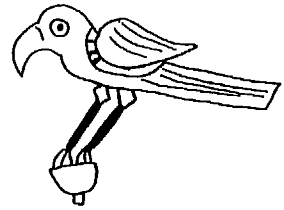


النّملة

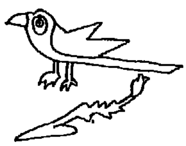


بعض الرسومات الموجودة فى نسخة مكتبة طلعت

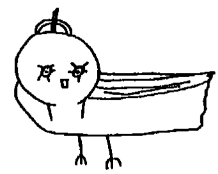
الباز



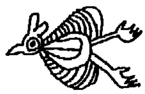
الخطاف



البومة



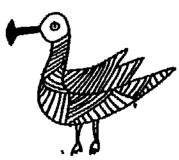
الخفاش



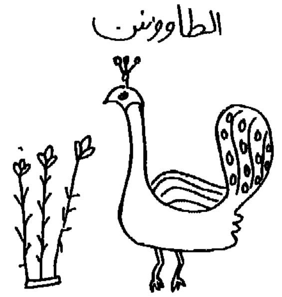
الحمامة



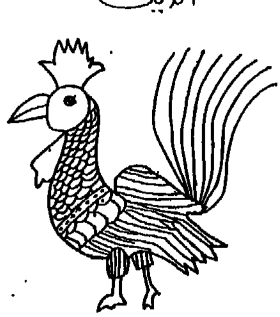
البطة



الطاووس



الديك



بعض الرسومات الموجودة فى نسخة مكتبة طلعت

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمة المُصنِّف

الحمد للَّه البعيد فى قُرْبه ، القريب فى بُعْده ، المتعالى فى رفيع مجده ، عن الشىء وضده ، الذى أوجَدَ بقدرته الوجود بعد أن كان عَدَماً ، وأودع كلَّ موجود حِكَماً ، وجعل العقلَ بينهما حَكَماً ، ليميز بين الشىء وضدّه ، وألهمه بما علّمه فعلم مُرّ مذاق مصابه من حلاوة شَهْدِه . فمن فكّر بصحيح قصده ، ونظر بتوفيق رُشده ، علم أن كل مخلوق موثوق فى قبضتى شقائه وسعده ، مرزوقٌ من خزائن نِعَمِهِ ورفده [1] ، قال تعالى : ﴿ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ﴾ [2] .

فلو صفتْ عين بصيرتك [3] ، وانجلت مرآة سريرتك [4] ، وأصْغَيْت بسمع يقظتك ، لأسمعك كلُّ شىء موجود ما يجده من

---

(١) رفده : (الرِّفْد) بكسر الراء ، العطاء والصِّلَة .

(٢) سورة فاطر : الآية (٢) ، وتتمة الآية : ﴿ ... وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

(٣) بصيرتك : (البَصَر) حاسة الرؤية . و(أبصره) رآه . و(البَصير) ضد الضرير . و(بَصُر) به ، أى علم به فهو (بصير) . ومنه قوله تعالى : ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ ﴾ [طه : ٩٦] . و(التَّبَصر) التأمّل والتعرف .

(٤) سريرتك : (السِّرّ) الذى يكتم ، وجمعه (أسْرار) . و(السَّريرة) مثله ، وجمعها (سَرائر) .

منتقـدات وَجْـده [١] ، وَما يكابده [٢] من وِجْـدان بعـده ، ألم تسمع للنسيم كيف تنسَّمَ أسفاً لبكآءِ السحاب على جزره ومدِّه ، وتأوّه [٣] لهفاً على تبسُّم البرق لما سمع قهقهة رعده ؟ ألم تسمع للربيع ما هو يبشرك بُوُرودِ وِرْدِه ، وأخبرك بنشـور [٤] وَرْدِه وشرود بَرْدِه ، وسعى إليـك بانقـلاب الشتآء لجرْدِه ومُرْدِه ، ووشى إليـك القبـول بوشى الروض وبُرْدِهْ ، وشكى إليك البان [٥] مَابَان من تمايل قَدِّهْ ، وأنهىَ [٦] إليك الأقحوان [٧] ما حاز من ألوان الزهر وجُنده ، وحقوق [٨] أعلامه الـمُعْلِمَة بسعده ، ووثب النرجس قائماً للقيام بِوَرْده ، وأقبل الشقيق على تشقيق ثوبه وقدّه ، فكأنه ثكلى [٩] لاطماً عـلى حمرة خـدّه ، ووصف إليك الجلّنار جُلّ نار هجـوه وصَدِّه ، وناح العنـدليب [١٠]

---

(١) وَجْـده : (وَجَد) فى الحزن (وَجْداً) بالفتح أى حزنه .

والوجـد : ما يصادف ويرد عليه بلا تكلف وتصنّع ، وعكسه الفقد .

(٢) يُكابده : (كَابَد) الأمر قاسي شدته .

(٣) تـأوّه : قولهم عند الشكاية (أوْه) من كذا ساكنة الواو إنما هو توجع ، وربما قلبوا الواو ألفاً فقالوا : (آه) من كذا ، وربما شددوا الواو وكسروها وسكنوا الهاء فقالوا : (أَوِّهْ) ، وربما حذفوا مع التشديد الهاء فقالوا : (أَوِّ) من كذا بلا مدٍّ ، وبعضهم يقول : (آوِّهْ) بالمد والتشديد ، وفتح الواو ساكنة الهاء لتطويل الصوت بالشكاية ، وربما أدخلوا فيـه التاء فقالوا : (أَوَّتَاهْ) يمد ولا يمد . وقد (أَوَّهَ) الرجل (تأويهاً) و (تَأَوَّه تأوُّهاً) إذا قال : (أَوِّهْ) والاسم منه (الآهَةُ) بالمد و (أَهْ أَهَّةً) توجع .

(٤) نشُـور : خروج . (٥) البـان : نوع من الشجر ، واحده (بانةٌ) .

(٦) أنهى : (الإنْهَاء) الإبلاغ ، وأنهى إليه الخبر أى بلغ .

(٧) الأُقْحُـوانُ : (البابونج) وهو نبتٌ طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر ، وجمعه (أقاحى) و (أقاح) .

(٨) خفُـوق : (خَفَقَت) الراية اضـطربت ، وكذا القلب والسـراب . و (خَفَقَ) يَخْفِق بالكسر (خَفَقَاناً) بفتحتين أيضاً .

(٩) ثكلى : (الثُّكْل) فقدان المرأة ولدها ، وكذا (الثَّكَل) بفتحتين ، وامرأة (ثَاكِلٌ) و (ثَكْلَى) و (ثكِلتهُ) أُمه بالكسر (ثُكلا) و (أثكله) الله أُمَّه .

(١٠) العَنْـدليب : (العَنْدَل) البلبل ، (يُعَنْدِلُ) أى يصوت ، و (العندليبُ) طائرٌ يقال له : الهزارُ ، وجمعه (عَنَادِل) .

على عوده الرطيب ورنده [1] ، وباح العاشق الكئيب بما يكابده من هوى زينبه وهنده ، وهام فى فلوات [2] خلواته طرباً بما سمعه عن طيب نجْده ، وفَرَّ هارباً [3] إلى من يعلم خَفَايا ما أبداه وما لم يُبْدِه ، فالعارف من شكر سوابغ [4] النِّعَم ، واحتقر معادن الحِكَم ، ولم يقنه من اللبن إلَّا بزبده ، وعلم أن اللَّه تعالى ما أحدث حدثاً ، وأهمله عبثاً ، بل كلٌّ واقف عند حدِّهِ ، باقٍ على حفظ عهده ، مقرٌّ بتصديق وعيده ووعده ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [5] .

أحمده على كل حال وأسأله توفيق حمده ، وأُصَلِّى على سيدنا محمد رسوله وعبده ، الذى أنزل عليه فى مُحْكم كتابه العزيز مخبراً برفيع مجده ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ ... ﴾ [6] صلى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه وعشيرته وجنده .

أمَّا بعـد :

فإنى نظرتُ بعينِ التحقيق ، ورأيتُ بنورِ التصديق والتوفيق ، أنَّ كل مخلوقٍ مقرٌّ بوجود الخالق ، وكل صامت فى الحقيقة ناطق ، فاستعربت الإشارات ، واستقرأت العبارات ، فرأيت كلا ناطقاً بلسان حالِهِ ولسان قالِهِ ، لكنّى رأيت لسان الحال أفصح من لسان القال ، وأصدق من كل مقال ، لأن لسان الخبر يحتمل التكذيب والتصديق ،

---

(١) رنده : (الرَّند) شجر طيب الرائحة من شجر البادية و ربما سموا العود رندا .

(٢) فَلَوات : (الفَلَوَاتُ) المفاوز ، واحده (المفازة) .

(٣) فيه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ... ﴾ سورة الذاريات : الآية (٥٠) .

(٤) سَوَابغ : شىء (سَابغ) أى كاملٌ وافٍ ، و(سَبَغَت) النعمة اتسعت ، و(أسْبَغَ) الله عليه النعمة أتمها .

(٥) فيه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ... وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ... ﴾ سورة الإسراء : الآية (٤٤) .

(٦) سورة الإسراء : الآية (١) .

ولسان الحال لا ينطق إلّا بالتحقيق . فالناطق بلسان الحال مخاطب لذوى الأحوال ، والناطق بلسان القال مقابل لأهل الصِّحة والاعتلال .

وقد وضعت كتابى هذا مترجماً عمّا استفدته من الحيوان برمزه ، والجماد بغمزه ، وما خاطبتنى به الأزهار عن حالها ، والأطيار عن مقرّها وارتحالها ، وسميته : كشف الأسرار فى حِكَمِ الطيور والأزهار، وجعلته موعظة لأهل الاعتبار، وتذكرة لذوى الاستبصار ، فاعتبروا يا أولى الأبصار [1] ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[2] .

فمن طَالَعَ مِثَالى ، وَفَهِمَ ضرب أمثالى ، فذاك من أمثالى ، ومن أعجمَ عليه إشكالى فليس من أشكالى ، فأقول واللّه لعبده كالى [3] :

أخرجنى الفكرُ يوماً لأنظرَ مَا أوجدته أيدى القِدَم فى الحَدَث ، وأحدثته القدرة البالغة للجِدِّ لا للعبَث ، فانتهيت إلى روضةٍ قد رقّ أديمها [4] ، ونمى خصيب رطيبها ، وراق نسيمها ، ونمّ [5] طيبها ، وغنّى عندليبها، وتحركت عيدانها، وتمايلت أغصانها ، وتَنَمَّقَتْ [6] أزهارها ، وصوّت [7] هزّازها ، وتسلسلت [8] جداولها ، وَتَبَلْبَلَتْ بلابلها .

فقلت : يا لها من روضة ما أَهْنَاهَا ، وَخُضرة ما أَبْهَاهَا ، وحضرة

---

(١) فيه إشارة إلى قول الله تعالى فى سورة الحشر ، الآية (٢) .

(٢) سورة آل عمران : الآية (١٩٠) . (٣) كالى : حافظ .

(٤) أديمها : (الأديم) وجه الأرض . (٥) نمّ : (النّمّام) نبت طيب الرائحة .

(٦) تنمقت : تزينت ، (نَمَّقَه تنميقاً) زينه .

(٧) صوت : (الصوت) معروف ، و(صاتَ) الشىء ، و(صوت) أيضاً (تصويتاً) ، و(الصَّائت) الصائح ، ورجل (صَيِّتٌ) بتشديد الياء وكسرها ، و(صَاتٌ) أيضاً أى شديد الصوت .

(٨) تسلسلت : شىء (سَلِسٌ) أى سهل ولين .

ما أصفاهَا ، فليتنى استصحبت صديقاً حميماً يكون لطيب حضرتى نديماً .

فنادانى لسان الحال فى الحال : أتريد نديماً أحسن منِّى ، أو مجيباً أفصح منى ؟ وليس شىء فى حضرتك إلَّا وهو ناطق بلسان حاله ، منادٍ على نفسه بدنوّ ارتحاله ، فاستمع له إن كنت من رجاله . وفى ذلك أقول :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ نَسِيمَ الصَّبَا[1] ... لـه نَفَسٌ نَشـره[2] صَـاعِدُ
فَطَوْراً يَفُوحُ وطوراً يَنُوحُ ... كما يَفْعَلُ الفَاقدُ الوَاجدُ
وسكبُ الغمامِ[3] ونوحُ الحمامِ ... إذا ما شَكَى الغُصْن المايدُ[4]
وضوءُ الأقاحِ ونُورُ الصَّباحِ ... وقد هزَّهُ البَارقُ الرَّاعِدُ
ووافَى الرَّبيعُ بمعنًى بديع ... يُترجمُ عن وِرْدِهِ الوَاردُ
وكُلٌّ لأَجْلِكَ مُسْتَبْطٌ ... لما فيه نَفْعُكَ يَا جَاحِدُ
وكُلٌّ لآلآئِهِ[5] ذَاكِرٌ ... مُقِرٌّ لهُ شَاكِرٌ حَامِدُ
وفى كُلِّ شَىْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

* * *

---

(١) الصبا : من الشوق ، يقال منه : (تَصَابَى) ، و(الصَّبَا) ريح ومهبها المستوى أن تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار ومقابلتها ريح الدبور .

(٢) نشره : (النَّشْر) الرائحة الطيبة .

(٣) الغمام : (الغَمَام) السحاب ، الواحدة (غَمَامة)، وقد (أَغَمَّت) السماء أى تغيمت .

(٤) المايد : (ماد) الشىء تحرك ، و(مادت) الأغصان تمايلت ، و(ماد) الرجل تبختر .

(٥) لآلآئه : (الآلاء) النعم ، واحدها (أَلِىَ) بالفتح وقد يكسر ، ويكتب بالباء مثل : معى وأمعاء .

إِشَـــارَةُ النَّسِـــيم (*)

فأول ما سمعت همهمة (١) النسيم، يترنَّم (٢) بصوته الرخيم (٣)، يقول بلسان حاله، عن صريح لفظه ومقاله: أنا رسول كل محب إلى حبيبه، وحامل شكوى كل عليل إلى طبيبه، إن استودِعت سِرًّا أدّيتُهُ كما اسْتودعْتُه، وإن حُمِّلتُ نَشْراً رَوَيْتُه كما سمعته، وإن صحبتُ مصحوباً اتَّحدتُ فيه بلطافة إيناسى، ومازجته بصفاء أنفاسى، فإن طاب طبت، وإن خبث خبثت، كما قال الشاعر:

الرَّاحُ (٤) كالرِّيحِ إن مرَّت عَلَى عَطرٍ ... طَابت، وتَخْبُثُ إنْ مَرَّت على الجيفِ

ثم إنى إن اعتللت صحّ بى العليل (٥)، وحيث حللت طاب بى المقيل (٦)، وإن تنفّست تنفّس المشتاق، وإن نمْت توسوست (٧) العشّاق،

(*) قال أبو عبادة يصف رقة النسيم:

ورقَّ نَسِيمُ الرَّوْضِ حَتَّى كأنَّمَا ... يَجِىء بأنْفَاسِ الأَحِبَّـةِ نُعما
فَمَا يَحْبِسُ الرَّاحَ التى أنتَ خِلُّهَا ... ومـا يَمنَعُ الأَوْتَـارَ أن تَتَرَنَّـمَـا

(١) **همهمة**: (الهَمْهَمَة) ترديد الصوت فى الصدر.

(٢) **يترنم** (الرَّنَم) بفتحتين: الصوت، وقد (رَنِم)، و(تَرَنَّم) إذا رجع صوته، و(التَّرْنيم) مثله، و(تَرَنَّم) الطائر فى هديره، وترنم القوس عند الإيناض.

(٣) **الرخيم**: كلام (رَخِيم) أى رقيق، و(التَّرْخيم) التليين، وقيل: الحذف، ومنه ترخيم الاسم فى النداء، وهو أن يحذف من آخره حرف أو أكثر.

(٤) **الراح**: (رَاحَ) الشىء يَراحُه وبريحُهُ أى وجد ريحه، ومنه الحديث: «من قتل نفساً معاهدة لم يَرَحْ رائحة الجنة»، ومنه (تروح) الماء، أى أخذ ريح غيره لقربه منه.

(٥) **العليل**: (العِلَّة) المرض، و(اعْتَلَّ) أى مرض فهو (عَليل)، ويقال: لا (أعلَّك) الله، أى لا أصابك (بعِلَّةٍ).

(٦) **المقيل**: (القائلة) الظهيرة. يقال: أتانا عند القائلة، ويكون بمعنى (القَيْلُولَة) أيضاً، وهى النوم فى الظهيرة.

(٧) **توسوست**: (الوَسْوَسَة) حديث النفس. يقال: (وَسْوَسَتْ) إليه نفسه (وَسْوَسَةً)، و(وِسْوَاساً) بكسر الواو.

فأنا ليّن الإعطاف [١]، هيّن الانعطاف [٢]، سريع الائتلاف ، ولولا وجودى فى الوجود لما كان مخلوق موجود ، يعرف لطفى ذوو الألطاف فلا تظن اختلاف هوائى سبب إغوائى ، بل أَخْتَلِف فى الفصول الأربع ، لما هو أصلح لك وأنفع ، فَأَهُبُّ فى الربيع شمالًا [٣] لألقّح الأشجار ، وأُعدِّل فَصْلَيّ الليل والنهار ، وأهبّ فى الصيف صَبًّا لأنمّى الثمار ، وأُصفِّى الأنهار ، وأهبّ فى الخريف جنوباً [٤] فتأخذ كل شجرة حَدّ طيبها ، وتستوفى حق تركيبها ، وأهبّ فى الشتاء دَبُوراً [٥] فآخذ عن كل شجرة حملها وأوراقها ويبقى أصلها . فأنا الذى تنمو بى الثمار ، وتسمو بى الأزهار ، وتتسلسل الأنهار ، وتلقّح بى الأشجار ، وتتروح بى الأسرار ، وأبشرك فى الأسحار بقرب المزار ، وفى ذلك أقول :

يَا طِيب ما نقلَ النَّسيمُ لمَسْمعى
عن طِيبِ ذيَّاك المحلّ الأرفعِ
وَافى لينشرَ ما انْطَوَى من نَشْرِهِ
فَسَكِرتُ مِنْ طِيبِ الشَّذَا [٦] المتضوِّعِ [٧]
ولربما أعتلّ النَّسيم إذا بَدَتْ
أنفاس شوقى المستكنُ بأضلعِى

---

(١) **الإعطاف** : (عِطْفا) الرجل جانباه من لدن رأسه إلى وركيه ، وكذا عطفا كل شيء جانباه ، وثن (عِطْفه) عنه ، أى أعرض منه .

(٢) **الانعطاف** : (عَطَف) مال ، وعَطَف عليه : أشفق .

(٣) **شمالًا** : (الشَّمال) الريح التى تهب من ناحية القطب ، وجمعه (شمالات) ، و (شمائل) على غير قياس .

(٤) **جنوباً** : (الجنوب) الريح المقابلة للشمال .

(٥) **دبوراً** : (الدَّبُورُ) الريح التى تقابل الصَّبَا .

(٦) **الشَّذا** : حدة ذكاء الرائحة .

(٧) **المتضوع** : (ضاع) المسك تحرك فانتشرت رائحته ، والمعنى الشذا المتحرك المنتشر .

هبَّ الصَّبا سَحَراً لتُبرَد غُلّتى
فَأثارَ نار تَحرّقى وتَوجّعى
مَا ذَاكَ إِلَّا أنَّهَا لِمَا سِرْتُ
مرّتْ عَلى تِلْكَ الرُّبَا الأَرْبَعِ
فَتحَمَّلتْ نَشْرَ الصَّبَا فى طَيّهَا
فَسَكرتُ وسَمِعْتُ مَالم يُسْمَعِ
وَآفتْ تُبَشّرنى بِلَيْلى أَنَّهَا
فى حُسْنهَا سَفَرتْ [1] فَلَم تَتَبَرْقَعِ [2]
وَجلتْ [3] عَلَى عُشّاقِهَا فى حَانِهَا
وَجْهاً تمنّع فى حِمًى متمنّعِ

* * *

(١) سَفَرَت : المرأة كشفت عن وجهها فهى (سَافر) ، و(أسْفَرَ) الصبح أضاء ، و(أسْفَر) وجهه حسناً أشرق .

(٢) تتبرقع : (البُرْقُعُ) بفتح القاف وضمها وهو للنساء من الأعراب ، وكذا (البُرْقُوع) ، و(برقعه فتبرقع) أى ألبسه البرقع فلبسه .

(٣) وجلت : (الجليّ) ضد الخفى ، و(الجلاء) الخروج ، و(تجلى) الشىء انكشف ، و(انْجلى) عنه انكشف .

إِشَـارَةُ الـوَرْد (*)

ثم سمعت مجاوبة الأزاهير بألوانها ، والشحاريرُ بأفنانها (١) ، فرأيت الورد يخبر عن طيب وُرُوده ، ويعترف بعَرْفِه (٢) عند شهوده ، ويقول : أنا الضّيف ، الوارد بين الشتاء ، والصيف ، أزور كما يزور الطّيف ، فاغتنموا وقتى فإن الوقت سيف . أُعطيت نفس العاشق وكُسيت لون المعشوق ، فأُروّح الناشق (٣) وأُهيِّج المشوق (٤) ، فأنا الزائر وَأَنَا المَزُور ، فمن طمع فى بقائى فإن ذلك زور . ثم من علامة الدهر المكدور ، والعيش المَمْرُور (٥) ؛ أننى حيث ما نبتُّ رأيت الأشواكَ تزاحمنى ، والأدغال تجاورنى ، فأنا بين الأدغال مطروح ، وبنبال شوكى مجروح ، وهذا دمى يُرى عِنْدَما يلوح ،

(*) الورد : ينبت فى جميع الأراضى ، ويتكاثر بالعُقل ، وأشكاله كثيرة ، ويستعمل منه فى الطب الورد الأحمر الجاف ، وخواصه قابض . وهو أنواع ، أشهرها الورد البلدى أو الدمشقى الذى يستقطر منه ماء يعرف بماء الورد ، ودهن يسمى عطر الورد ، وهو لذة للنظر والشم فى أعلى درجة ، ويمكن تسميته بملك الأزهار ، والعطر المتصاعد منه يبسط المخ ، وشكلها مفرح للأعين كلونها أيضاً .

قال الشاعر :

أما ترى شَجَرَاتِ الوَرد مُظهِرةً ... لَنَا بَدَائعَ قد رُكِّبْن فى قُضُبِ

أوراقها حُمُرٌ أوساطها حُمَمٌ ... صُفرٌ ومن حولها خُضْر من الشطبِ

كأنهنَّ يواقيتٌ يَطِيفُ بها ... زُمُرُدٌ وسطه شَذْرٌ من الذَّهَبِ

(١) أفنانها : (الفَنُّ) واحد (الفُنُون) وهى الأنواع ، و (الأَفَانِين) الأساليب ، وهى أجناس الكلام وطرقه ، ورجل (مُتَفَنِّن) أى ذو فنون .

(٢) عرفه : (العَرْف) الريح طيبةً كانت أو منتنة ، والمقصود هنا الريح الطيبة .

(٣) الناشق : (استَنْشَقَ) الريح شمها ، و (نَشِقَ) منه ريحاً طيبة ، أى شم .

(٤) المشوق : (الشَّوْق) ، و (الاشْتِيَاق) نزاع النفس إلى الشيء ، يقال : (شاقة) الشيء فهو (شائق) وذلك (مَشُوقٌ) ، و (شَوَّقَه فَتَشَوقَ) أى هيج شوقه .

(٥) الممرور : أى المرير ، و (المَرارة) بالفتح ضد الحلاوة ، وشيء (مُرّ) والجمع (أمرار) ، ويقال : هذا الشيء (أَمَرُّ) من كذا .

فهـذا حـالى وأنا ألطـف الأوراد ، وأشـرف الوُرَّاد ، فمن ذا الذى سَلِمَ الأنكاد (١) ، ومن صَبرَ على نَكَد الدنيا فقد بلغ المراد .

وبينما أنا أرْفُلُ (٢) فى حلل النَّضَارة ، إذ قطفتنى يَدُ النَّظَّارة (٣) ، فأسلمتنى من بين الأزاهير إلى ضـيّق القـوارير (٤) ، فيذاب جسدى ، ويُحرق كبدى ، ويُمزَّق جلدى ، ويقطّر (٥) دمعى النَّدى (٦) ، ولا يُقام بأَودِى (٧) ، ولا يؤخذ بَقَودِى (٨) ، فجسدى فى حُرَقْ ، وجفونى فى غَرَقْ ، وكبدى فى قلق ، وقد جعلت ما رشح من عَرَقِى شاهداً لما لقيت من حُرَقِى ، فيتـأسّى باحتراقى أهل الاحتراق ، ويتروَّح بنفسى ذوو الأشـواق ، فأنا فَانٍ عنهم بأيّاى ، باقٍ فيهم بمعنـاى (٩) ، أهل المعرفة يتوقّعـون لقآئى ، وأهل المحبّـة يتمنون بقآئى ، وفى ذلك أقول :

فإنْ غِبْتَ جِسْماً كنتَ بِالرُّوحِ حاضراً ... فسِـيّان قُـرْبى إنْ تَأَمّلتَ والبـعْدُ
فللّـهِ من أَضْحَى من النَّـاسِ قـائلًا : ... إنَّـكَ مَـاءُ الـوَرْدِ إذْ ذَهَبَ الـوَرْدُ

* * *

(١) **الأنكاد** : (نَكد) عيشه اشتد ، ورجل (نَكدٌ) أى عَسِرٌ ، وجمعه (أَنْكَاد) ، و (مَنَاكيدُ) ، و (نَاكَدُه) وهما (يَتَنَاكَدان) أى يتعاسران ، و (الأَنْكدُ) المشئوم .

(٢) **أرفـل** : (رَفَل) فى ثيابه أطالها وجرها متبخترا ، فهو (رَفِلٌ) ، وكذا (أَرْفَلَ) فى ثيابه .

(٣) **النَّظَّـارة** : مشـدداً القوم ينظرون إلى الشىء .

(٤) **القـوارير** : جمـع (القارورة) وهى عادة مصنوعة من الزجاج .

(٥) **يقطـر** : (تَقْطِير) الشىء إسالته قطرة قطرة .

(٦) **النَّـدَى** : المطر والبلل ، وجمعه (أَنْدَاء) وقد جمع على (أَنْدِية) وهو شاذ ، و (نَدَى) الأرض (نَدَاوَتُها) وبللها ، وأرض (نَدِيَّةٌ) ، وقيل : (النَّدَى) ندى النهار ، و (نَدَى) الشىءُ ابتل فهو (نَدٍ) ، و (نُدُوَّةٍ) أيضاً ، و (أَنْدَاه) غيره ، وندَّاه (تَنْدِية) . والمعنى المقصود : دمعى المبلل .

(٧) **أودى** : (أَوِدَ) الشىء أعوَجَّ ، و (تَأَوَّد) تَعَوَّج . ومن الكنايات : كسب ما يقيم به أَوَده .

(٨) **قـودى** : (القَوَد) بفتحتين القصاص ، و (أَقَاد) القاتل بالقتيل قتله به . يقال : أقاده السلطان من أخيه ، و (استقاد) الحاكم سأله أن يقيد القاتل بالقتيل .

(٩) يقصد أنه بعد فنائه عنهم ، فسوف يبقى عندهم على شكل عطر .

إشَـارَةُ الـمرْسِـين

فلما سمع المرسين كلام الورد ، قال : لقد لعب النَّسيم بالبَرْدِ ، وباح النسيم بسرّه ، ونشر السّحاب عقود ظِلّه ، وتضوّع (١) البَهَار (٢) بعَرْفه ، وتبرج الربيع بقلائد نَحْرِهِ ، وخلع السرور عذارهُ ، وبسط على الروض الأنيق أزهاره ، وغرّد الهزار (٣) ، ورد لعاشقة المزار ، فقم بنا نتفرّج ، ونتيه بحسنه ونتبهرج ، فأيّام السرور تُخْتَلس ، وأعمارها بأسرارها تُقتبس .

فلما سمع الورد كلام المرسين قال له : يا أمير الرياحين ، من سلوك الأُمَرَاء تأمّل الصواب فى الآراء ، تأمر باللّهو عبدَك ، وتحض على العيب جندك ، وأسير الرعيّة ، صاحب الفكرة والرّويّة ، فلا يُعجبْكَ حُسْنَكَ إذا تماود غصنك ، ولا لحسن أوراقك ، وكرم أعراقك ، فأيّام الشباب كزيارة الأحباب ، سريعة الزوال ، دارسة (٤) الأطلال ، كالطيف الطارق ، والخيال المفارق ، يطرُق ويُلمّ ، وينقطع وصله فلا يتم ، وكذلك النبات ، أخضر الجلباب ، مورق العود ، كالقباء (٥) المزرود (٦) ، إذ حصد من أصله ، وحكمت الأيام بشتات شمله . والنبات مختلف الأجناس ، كاختلاف الحيوان من

---

(١) تضوع : (ضَاعَ) المسك تحرك فانتشرت رائحته ، و (تَضَوُّع) أيضاً ، و (تَضَيَّع) مثله .

(٢) البَهَار : بالفتح العرار الذى يقال له : عين البقر ، وهو بَهَار البر ، وهو نبت جعد له تفاحة صفراء تنبت أيام الربيع يقال لها : العرارة .

(٣) الهزار : العَنْدليب هو الهزار ، والجمع العنادل . يقال : (البلبل يُعندل) إذا صوت .

(٤) دارسة : (دَرَس) الرسم عفا ، و (دَرَسَتْه) الريح .

(٥) القَبَاء : الذى يلبس ، والجمع (الأَقْبِيَة) ، ويقال : (تَقَبَّى) لبس القباء .

(٦) المزرود : (الزَّرد) بفتحتين هو الدرع المزرودة ، و (الزَّرْدُ) هو تداخل حلق الدرع بعضها فى بعض .

الناس : فمنها ما يصلح للنار ، كالحطب اليابس من الأشجار ، ومنها ما يُشَمّ ويذبل ، ويُجوّل خطابه ويُنْصَل ، وتطرقه حوادث الأيام ، ويعود مَرْميًّا على الأكوام ، ومنها ما تُؤكَل ثماره ، وتحسن فى النار آثاره . فإيَّاك والاغترار بزخارف هذه الدار ، إنما أنت فريسة الأسد الهمام ، وعليك إن نصحتك والسلام ، وفى ذلك أقول :

يا رَاقِداً فى اللَّيلِ كَمْ ذَا تَنَامُ أمَا تَخَافُ العُتْبَ بينَ الأنامِ
فَقُمْ لِمَوْلَاكَ وَكُنْ قَائِلًا فى حِندِسِ[1] اللَّيلِ وجُنحِ[2] الظَّلامِ
يَا ربُّ بالهَادِى شِفِيعِ الوَرَى المُصْطَفَى ذُخْرِى عَلَيْهِ السَّلامُ
اهْدِى إلٰهى مِنْكَ لى تَوْبَةً تَمْحُو ذُنُوبى والخَطَأ والآثامِ
فَقَدْ أتَيْتُ الآنَ مُسْتَغْفِراً مُعْتَرِفاً بالذَّنْبِ لى والسَّلامِ

* * *

(١) حندس : (الحِندِس) بكسر الحاء والدال : الليل الشديد الظلمة .
(٢) جُنح : الليل بضم الجيم وكسرها ، طائفة منه .

إشَارَةُ البَان (*)

فلما نظرتِ الأشجار إلى طَرَبِ [1] البان بينها ، وتمايُلِهِ دونَها ، لامُوه على كثرة تمايله ، وعَنَّفوه على عجبه بشمائله [2] ، فتمايل هنالك البان ، وقال : لقد ظهر عُذرى عند الناس وبان ، فمن ذا يلومنى على تمايل أغصانى ، واهتزاز خرصانى [3] ، وأنا الذى بسطتْ لى الرياض مطارفها [4] ، وأظهرت لى الأزهار زخارفها ، وأهدَتْ إلىَّ نسمَاتُ الأَسْحَار لطآئِفَهَا . فإذا رأيتُ ساعة نشور [5] أموات النبات قد اقتربت ، ورأيت الأرض وقد اهتزّت وربت ، ونفخ فى صور رعدى ، ونُسخ حكم وعيدى بإنجاز وعدى ، وحان وُرُود ورْدِى ، فأنظُرُ إلى الورد وقد وَرَدْ ، وإلى البرد وقد شَرَدْ ، وإلى الزهر وقد اتَّقَدْ ، وإلى الحبّ وقد انعقَدْ ، وإلى الغصن اليابس وقد اكتسى بَعْدَ ما انْجَرَدْ ، وإلى اختلاف المطاعم والمشارب وقد اتَّحَدْ ، فاعْلم أن خالقها أَحَدٌ ، ومُنَوّعها صَمَدٌ ، وموجودها بالقدرة قد انفَرَدَ ، فلا يفتقر إلى أحدٍ ، ولا يستغنى عنه أَحَدٌ ، ولا يشاركه فى ملكه أَحَدٌ ، فهو الأَحَدُ الصَّمَدُ

(*) شجر (البان) يسمو ويطول فى استواء مثل نبات (الأثل) وورقه أيضاً هَدَب كهدب الأثل ، وخشبه خوار رخو خفيف ، وهَدَبه (شكل ورقه) طويل أخضر شديد الخضرة ، وثمرته تشبه قرون اللوبياء وفيها حبّ كالحِمّص شكلًا ، يستخرج من لبّه مادة زيتية مستحبة الطعم تعرف بدهن البان .

(١) **طرب** : (التَّطْريب) فى الصوت مده وتحسينه ، و(الطَّرَب) خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور . وقد (طَرِبَ) بالكسر (طَرَباً) ، و(أَطْرَبه) غيره ، و(تَطَرَّبه) .

(٢) **شمائله** : (الشِّمال) الخُلُق ، والجمع (الشَّمائل) .

(٣) **خرصانى** : (الخُرص) بضم الخاء وكسرها : الحلقة من الذهب والفضة ، وقيل : هو القُرط بحبة واحدة . ومن الأمثال : ما فىْ أذنها خرص ولا فى بيتها قُرص .

(٤) **مطارفها** : (الطرف) الناحية والطائفة من الشىء .

(٥) **نشور** : (نَشَر) الميت فهو (نَاشِرٌ) عاش بعد الموت ، ومنه يوم (النُّشور) ، و(أَنْشَرَه) الله تعالى أحياه . والمعنى : إذا رأيت ساعة عودة الحياة لأموات النبات ...

الذى لم يلدْ ولم يُولدْ ولم يكنْ له كُفُواً أَحَد [١].

فهنالك تمايلت قدودى طرباً بطيب شهودى ، وترنّمَتْ بَلَابل سُعُودى على تحريك عُودى ، ثم تدركنى عناية مَعْبُودى ، فَأُفكِّرُ فى عَدَمى ووجودى ، وفوات مَقْصُودِى ، فأنعطف إلى الورد فأخبرهُ بورودى ، وأخلع عليه من بُرُودى ، وأستخبره عن مصدرى وَوُرُودِى ؛ فقال لى : وجودك كوُجودى ، وَمَوْجُودُك كَمَوْجُودِى ، وَرُكُوعُك كسجودى ، فأنت بخضرة قُدُودِك ، وأنا بحُمرة خُدُودِى ، فَهَلُمَّ نَجْعَلُ فى النارِ وقُودَكَ ووقُودِى ، قبل نارُ خلودك وَخُلُودى .

فقلت : إذا صحَّ الائتلاف ، ورضيت لنفسك بالتلاف ، فليس للخلان [٢] من خلاف ، فنُقْطف على حُكم الوفاق ، وَنُخْتَطَف من بين الرِّفاق ، وَتُصعَّدُ أنفاسنا بالاحتراق ، وَتُقطَّر دُمُوعُنَا بالإشفاق ، فإذا فنينا عَنْ صور أشباحنا ، وبقينا بمعانى أرواحنا ، فسِيّان غدوّنا ورواحنا . وفى ذلك أقول :

وَرَدَ الـوَرْدُ بَشِـيراً بالـذى ... فيه من لُطْف المَعَانِى قَدْ حَوَى
فَانْثَنَى البَـانُ لَـهُ منْعَطِفـاً ... لاثِماً [٣] نَشرَ الذى فيه انطَوَى
مَـالَ يَشْكُو أَهْيَفَ [٤] القَـدّ لـه ... فَرْطَ مَا يَلْقَاهُ من حَرِّ الجَوَى [٥]
فَـرَثَـاهُ الـوَرْدُ إذْ قَـالَ لَـهُ ... نَحْنُ خِـلَّانٌ تَسَـاهَمْنَا الهَـوَى
فـأَنَـا أنْـتَ كمـا أنْـتَ أنَـا ... نَحْنُ فى المَعْنَى جَمِيعاً بالسَّوَى [٦]

---

(١) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الإخلاص : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ .

(٢) الخلان : (الخِلّ) الود والصديق ، و(الخَلِيل) الصديق ، والأنثى (خَلِيلةٌ) .

(٣) لاثماً : (اللَّثْم) التقبيل .

(٤) أَهْيَفُ : (الهَيَفُ) بفتحتين ضم البطن والخاصرة ، ورجل (أَهْيَفُ) ، وامرأة (هَيْفَاءُ) ، وقوم (هِيفٌ) ، وفرس (هَيْفَاءُ) أى ضامرة .

(٥) الجَوَى : الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن .

(٦) بالسَّوى : يقصد أنهما فى هذا الأمر متساويان .

كم رُمِينَا فى لَظَى [1] نارِ فلا ... صَاحِبِى ضَلَّ ولَا قَلْبِى غَوَى [2]
ولَكُمْ قَدْ فرّقَتْ أيدى النَّوَى ... بَيْنَنَا والغُصْنُ مِنَّا ما ذَوَى [3]
ألم تَرَ أَحْشَاؤنا قد حُشِيَتْ ... بِلَهِيبِ النَّارِ وَالقَلْبُ اكتَوَى
وبِهَا أنْفَاسُنا قَدْ صُعِّدتْ ... مِثْلَ مَا قَدْ قُطِّرت منّا القُوَى
كلُّنا نَشْكُو بِشجْوٍ [4] وَاجِدٍ ... ولِكُلٍّ فى هَوَاهُ ما نَوَى
قَسَماً حَقًّا يَمِيناً صَادِقاً ... بالذى قُدْماً على العرشِ اسْتَوَى
إنَّ فى شَرْحِ غَرامِى عِبرةً ... لِذَوِى القَلْبِ إذا القَلْبُ ارعَوَى [5]
كُنْتُ بالأمسِ كَبَدْرٍ طَالِعٍ ... وَأنَا اليومَ كَنَجْمٍ قَدْ هَوَى

* * *

---

(١) لظى : (اللَّظَى) النار ، و(الْتِظَاء) النار التهابها ، و(تَلَظُّيها) تَلَهُّبُها .
(٢) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة النجم الآية (٢) : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ .
(٣) ذوى : (ذَوَى) البقل يَذْوِى بالكسر (ذُوِيًّا) فهو (ذَاوٍ) أى ذابل ، وقال يونس : (ذَوِىَ) بكسر الواو لغة ، و(أَذْوَاه) الحر أذبله .
(٤) شجو : (الشَّجْوُ) الهم والحزن ، ورجل (شَجٍ) أى حزين ، وامرأة (شَجِيَة) .
(٥) ارْعَوَى : عن القبيح ، أى كف .

إشَـارَةُ النَّرجِس (*)

فأجابهُ النرجس من حاضره، وهو ناظر لمناظره ، وقال : أنا رقيبُ القوم وشاهدُهم ، وسميرُهم ، ومنادمهم ، وسيّد القومِ خادِمُهُمْ (١) ، أُعَلِّمُ مَنْ له همّة كيف شروط الخدمة ، أَشُدُّ للخِدْمَةِ وَسْطى ، وأوثقُ بالعزيمة شرطى ، ولا أَزَال واقفاً على قدم ، وتلك وظيفة من خَدَم . لا أجلس بين جُلَّاسى ، ولا أرفع للنديم رأسى ، ولا أَمنعُ المتَنَاوِلَ طيب أنفاسى ، ولا أنا لعهد من وصلنى ناسى ، ولا قلبى على من قطعنى قاسى . ثم لا يفارق فمى شرب كاس ، وهو لى بصفوه كَاسِى . بُنى على قضيب الزبرجد (٢) أساسى ، وجُعِل من العسجد (٣) واللُّجين (٤) لباسى ، ألمحُ تقصيرى فأُطرقُ إطراق الخَجَل ، وأُفكِّر فيما إليه مصيرى فأحدّق لهجوم الأجل ، والعجيب أننى واقفٌ على التفرقة فى مقام الجمع ، يُدرك معنى شذاى حاسَّةُ الشَّمِّ لا حَاسَّةُ السَّمْع ، وهذا معنًى لا خَطَر بقلبٍ ولا مرّ بسمع ، فإطراقى اعترافاً بتقصيرى ،

(*) النرجس : نبات من النباتات البصيلية المعمرة ، أزهاره منتظمة وهو يتكاثر من بصله ، وروائحته زكية ، قال الشاعر عبد الله بن طاهر :

ثَلَاثُ عُيُــون من النَّرجِــس ... عَـلَى قَـائِمٍ أخضَـرٍ أملَـسِ
كيـاقُـوتـةٍ بـين دُرٍّ عَـــلا ... زَبـرجَـدةٌ مُنيـة الأنفُـسِ
يـذكرنى ريحُهــنّ الحَبيـ ... ـبَ فيُنغصُـنى لـذةَ المجلسِ
وأحْسَـنُ مَا فى الوُجُـوهِ العُيُـو ... نُ وأشبهُ شىءٍ من النَّرجِسِ

(١) رواه أبو عبد الرحمن السلمى فى (آداب الصحبة) عن عقبة بن عامر . وفى سنده ضعف وانقطاع ، ورواه أبو نعيم فى (الأربعين الصوفية) عن أنس بن مالك ، والخطيب عن جرير بن عبد الله ، وانظر فى ذلك كشف الخفا (١٥١٥) ، وكنز العمال (١٧٥١٨) ، وتاريخ بغداد (١٠/١٨٧) .

(٢) **الزَّبَرْجَد** : نوع من الجوهر معروف . (٣) **العَسْجَد** : الذهب .

(٤) **اللُّجَيْن** : بالضم الفضة أو هو اسم جامع للجوهر كله من الدر والياقوت .

وإطلاقى لأحداقى [١] نَظَراً فيما إِلَيْهِ مَصِيرى ، وفى ذلك أقول :

إنْ يَكُنْ مِنِّى دنى أَجَـلِى — آهُ واذُلِّى وَيَـا خَجَـلِى
قُمْتُ مـن ذُلِّى عـلى قَـدَمِى — مُطْـرِقاً للرأْسِ مـن ذَلِلِى
لَوْ بَذَلْتُ الـرُّوحَ مُجْتَهِـداً — وَنَفَيْتُ النَّوم عَـنْ مُقَـلِى [٢]
كُنْـتُ بالتَّقْصِـيرِ مُعْتَرِفاً — خـائِفاً من خَيْبَـة الأَمَـلِ
إنْ يَكُنْ للعَبْـدِ سَـابِقَةٌ — سَـبَقَتْ فى الأَعْصُـرِ الأُوَلِ
لم يكنْ فى القَـادِمِينَ غـداً — نَـافِعِى عِـلْمِى ولَا عَمَـلِى
مُقْلتى مـا شَـأْنهـا أبَـداً — قـطٌّ لَا يَنْفَعُـكَ منْ وَجَـلِ [٣]
عَجِـلًا فى حَتْفِـهِ وَكَـذَا — خُـلِقَ الإنْسَـانُ من عَجَـلِ

وقُلْتُ أيضاً :

تَأَمَّلْ فى رِيَاضِ الرَّوضِ وانظرْ — إلَى آثـارِ مَـا صَـنَعَ المَلِيـكُ
عُيُـونٍ مِنْ لجينٍ شاخصاتٍ [٤] — بأحداقٍ كما الـذَّهَب السَّبيك
عَلَى قَضِيبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِداتٍ — بأَنَّ اللَّـهَ ليسَ لَهُ شَـرِيك
وأنَّ مُحَمَّـداً خَـيْرُ البَرَايا — إلى الثَّقَلَيْنِ [٥] أَرْسَلَهُ المَلِيكُ

* * *

(١) **أحداقى** : (حَدَقة) العين سوادها الأعظم ، والجمع (حَدَق) ، و(حِدَاق) ، و(التحديق) شدة النظر .

(٢) **مقلى** : (المُقْلة) شحمة العين التى تجمع البياض والسواد .

(٣) **وجل** : (الوَجَلُ) الخوف ، وقد (وَجِل) بالكسر يَوْجَلُ (وَجَلًا) ، و(مَوْجَلًا) أيضاً بفتح الجيم فيهما ، والموضع (مَوْجِل) بالكسر .

(٤) **شاخصات** : (شَخَص) بصره فهو (شَاخِصٌ) إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف .

(٥) **الثَّقَلَيْنِ** : الإنس والجن .

إِشَـارَةُ اللِّينـوفر (*)

فنـاداه اللينوفَرْ ، وحظه من السقم (١) أوفى وأوفر ، وقال : أما تعتبر أيهـا الحزينُ باصفراري ، وأين من القضـاء والقـدر فراري ، أنا الذى قد رضيت بعـارى ، و لست من العشق بِعَـارى ، الرياضُ قرارى ، والغيـاضُ (٢) دارى ، فإن كنتَ عاشـقاً دارى ، فأهل الدارِ دارى . هآ أنا أعشقُ صـفآءَ المآءِ ، فلا أُفارقهُ فى الصبـاحِ والمسآءِ ، ومن العجبِ أنى به ولهـان ، وعليه لهفان ، وإليـه ظمآن ، وأنا معه حيثما كان ، فهل سمعتم بمثل هـذا الشـان ، واقفٌ فى الماءِ عطشان ، أفتحُ عينى بالنهـارِ ، فيغـار علىَّ من نظر الأغيـار ، فإذا جنّ (٣) ليـلِى أنزلنى عن رتبتى وَحَطّنى ، وَأَخَـذنى إليه وغطّنى ، فأغوصُ فى فكرى ، وأعـودُ إلى خلوة ذكرى ، فتستغرق عينى فى مشـاهدةِ قرّة عينى ، فلا يعرف الجهول أينى (٤) ، ولا يفرق العذول بين من أحبّه وبينى ، فحيثُ

(*) اللّيْنَـوْفَر : ويقال : (نيلوفر) اسم معرب ، ومعناه ذو الأجنحة النيلى ، وعرف قديماً باسم (بشنين) ، وفى مصر يعرف باسم عرائس النيل أو اللوتس . وهو نبات معمر عـديم الساق ، يعيش فى الآجام وعلى سطح المياه بطيئة الجريان ، جذوره قشرية زاحفة إسفنجية كثيرة التفرع بألياف جذرية ، وأوراقه كبيرة مستديرة أو قلبية الشكل تسبح على سطح الماء ، وأزهاره كبيرة جميلة المنظر بيضاء أو صفراء أو زرقاء أو وردية ، تخلف ثمراً لحميًا يشبه التفاح . قال الشاعر :

وَبـركـةٍ حُـفَّـتِ بلينـوفـرٍ ... ألـوانُـه بـالحسْـنِ مَنْعُـوتَـهْ
نهـارُه يَنْظـرُ مـن مُقـلـةٍ ... سَـاجِيـةِ الألْحـاظِ مَبهـوتَـهْ
وإنْ بـدا اللَّيـلُ فأجفـانُـه ... فى لُجّـة البركـةِ مَسـبوتَـهْ
كـأنَّمَـا كُلُّ قَضِـيـبٍ لـه ... يَحمِـلُ فى أعْـلاه ياقُـوتَـهْ

(١) السـقم : (السَّقام) المرض ، وكذا (السُقم) و (السَّقم) و (المِسْقام) الكثير السقم .

(٢) الغيـاض : (الغَيْضة) بالفتح الأجمة ، وهى مغيض ماءٍ يجتمع فينبت فيه الشجر ، والجمع (غياض) و (أغْيَاض) .

(٣) جنَّ : عليه الليل ، و (جَنّهُ) الليل يَجُنّه بالضم (جُنُونا) و (أجَنّه) مثله . والمعنى : ستره الليل .

(٤) أينى : (الأين) هو حالة تعرض للشىء بسبب حصوله فى المكان .

ما مال بى هَوَائى ، لا أنْظُرهُ إلَّا حذائى . إن ظمئتُ رَوانى ، وإن مِتُّ وَارَانى ، فحياةُ وجودِى بحياتِه ، وبقاء شهودى بثباته ، وقيام ذاتى بذاته ، وصفآءُ صفاتى بصفاته ، فما بيتا بيّن ، ولولاه ما كنتُ أثراً بعد عين ، وفى ذلك أقول :

كَسَا الحبُّ جِسْمِى ثَوْبَ الضَّنَا [1] فَروحى من شَوْقِها فى عَنَا [2]
كأنَّ الهَوَى إذ رَمَى سَهْمَهُ لِقَلْبى دُونَ الوَرَى [3] قد عَنَا
تَدَانَى فَأَدْنَى إلىَّ مُهْجَتِى [4] هَوى كلما قَدْ دَنَا قَدْنَا
يَقُولُ لى الحبُّ : لَا تَأْلَفَنْ سِوَانَا إذا كنتَ من إلْفِنَا
حَمَيْنا الوِصَالَ ببيضٍ [5] النِّصالِ [6] فإنْ تَلْقَ سُمْر القَنَا [7] تَلْقَنَا
ولَا تَجْزَعَنَّ بِحَدِّ النِّبالِ [8] وَمُرِّ النِّكال [9] ففيه الهَنَا
ومُتْ مِثْلَ ما ماتَ أَهْلُ الهَوَى وَذَابُوا اشْتِيَاقاً فَنَالُوا المُنَى
وما ضرَّهُمْ حِينَ نَادَيْتُهُمْ عَلَى طَوْر قَلْبِى أَنّى أَنَا

* * *

(١) الضنا : (الضَّنَى) المرض . يقال : رجل (ضنًى) و (ضنٍ) ، ويقال : تركته ضَنًى وضنيًا . و (أضنَاه) المرض أثقله .

(٢) عَنَا : الذل والخضوع ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ... ﴾ [سورة طه : الآية ١١١] ، و (عَنِىَ) بالكسر (عَنَاءً) أى تعب ونصب . و (عَنّاه) غيره (تَعْنِية) و (تَعَنَّاه) أيضاً (فَتَعَنّى) و (المُعَانَاة) المقاساة ، يقال : (عاناه) و (تَعَنّاه) و (تَعَنَّى) هو .

(٣) الوَرَى : الخلق .

(٤) مهجتى : (المُهْجة) الدم ، وقيل : دم القلب خاصة ، ويقال : خرجت (مُهْجته) أى روحه .

(٥) بيض : (الأبيض) السيف ، وجمعه (بيضٌ) .

(٦) النصال : (النَّصْل) نصل السهم والسيف والسكين والرمح ، والجمع (نُصُولٌ) ، و (نِصَالٌ) والمعنى : حد السيف .

(٧) القَنَا : (القَنَاة) الرمح ، والجمع على (قَنَوَات) ، و (قَنًا) .

(٨) النبال : (النَّبْل) السهام العربية ، وهى مؤنثة لا واحد لها من لفظها ، وقد جمعوها على (نِبَال) و (أَنْبَال) و (النَّبَّال) بالتشديد صاحب النبل ، و (النَّابِلُ) الذى يعمل النبل .

(٩) النكال : (النِّكْل) القيد ، وجمعه (أَنْكَالٌ) .

إشَـارَةُ البَنَفْسِـج (*)

فتنفّس البنفسجُ تنفّس الصُّـعَدَا (١) ، وقال : طُـوبى (٢) لمن عَـاش عيش السعدَا ، وماتَ موتَ الشهدَا ، إلى متى أموت بالذبُولِ كمداً (٣) ، وأكتسى بالنُّحولِ (٤) أثواباً جُدداً ، أفنتنى الأيام فما أَطَالَتْ لى أَمداً (٥) ، وغيَّرتنى الأحكامُ فما أبقَتْ لى جِلْداً ولا جَلَداً (٦) ، فما أَقصَرَ ما قَضيتُ عَيْشاً رَغَداً ، وما أَطْوَلَ ما بَقيتُ يابِساً منجرداً ، وجملة فُضولى أننى أُؤْخَذُ أيام حُصُولى ، فأُقطَـعُ عن أُصـولى ، وَأُمنَـعُ عن وُصُـولى ، ثم يُتَقَـوَّى عـلى ضَـعفى ، وَيُعْسَفُ (٧) بى مع تَرَفى وَلُطْفى ، فيتنعَّم بى من حضرنى ، ويجتلبنى من

(*) **البنفسـج** : ينبت فى مواضع ظليلة حسنة ، وهو أنواع كثيرة منها : البنفسج العطرى ، وهو نبات معمر ساقه زاحف ذو جذور هوائية وأوراقه ملساء أو وبرية بيضاء قلبية أو كلوية ، وأزهاره بنفسجية أو وردية أو بيضاء . وأنواع البنفسج المعتادة قوية الإنبات تصلح فى جميع الأراضى الرطبة المتخلخلة المظللة قليلًا ، وتتكاثر بتفريد نباتاتها فى فصل الربيع أو فصل الخريف . أحسن الأزمنة لزراعة بذوره الخريف ، وأزهاره عطرة الرائحة تصنع من خلاصاتها روائح زكية جدًّا . وتستعمل أوراق البنفسج فى الطب شاياً للتلطيف .

قال المهلبى عن البنفسج :

بَنَفْسِـجٌ بذكىِّ المِسْـكِ مَخْصُـوصُ   مَافى زَمانك إذ وَافَـاهُ تَنغيـصُ

كأنَّمـا شُـعَلُ الكبريت مَنظـرُهُ   أو خَـدُّ أغيـدَ بالتَّجْمِيشِ مَقروصُ

(١) **الصـعدا** : (الصُّعَداءُ) بضم الصاد والمد : تنفس ممدود .

(٢) **طُـوبَى** : فُعْلَى من الطيب ، قلبوا الياء واواً لضم ما قبلها ، ويقال : (طُوبى) لك ، و (طُوباك) أيضاً ، و (طُوبى) اسم شجرة فى الجنة .

(٣) **كمـدا** : (الكَمد) الحزن المكتوم ، فهو (كَمِد) و (كَمِيد) .

(٤) **النحول** : الهزال وقد (نَحَل) جسمه و (نَحِل) بالكسر (نُحولا) لغة فيه والفتح أفصح .

(٥) **أمـداً** : (الأَمَدُ) بفتحتين : الغاية .

(٦) **جَـلَداً** : (الجَلَد) بفتحتين : الصلابة . و (الجَلَادة) و (جَلَداً) أيضاً و (مَجْلُوداً) فهو (جَلْد) و (جَلِيد) وقوم (جُلْد) و (جُلَدَاء) و (أَجْلَاد) ، وأما (التَّجَلد) فهو تكلف الجلادة .

(٧) **يعسـف** : (العَسْف) الأخذ على غير الطريق ، وكذا (التَّعَسُّفُ) و (الاعْتِسَاف) و (العَسُوف) الظلوم .

نظرنى ، ثم لم ألبث إلَّا يوماً ، أو بعض يوم ، حتى أُسَامَ بأنجس السَّوْم [(١)] ، ويعادُ عليَّ بَعْدَ الثَّنَآءِ باللَّوم ، فَأُمْسى مِمَّا لَقِيتُ مَمْعُوكاً [(٢)] ، فإذا أَصْبَحتُ بيد الحوادثِ مَعْرُوكاً [(٣)] ، فحينئذ أعودُ يابساً ، ومن النَّضَارَة آيِساً ، فيأخذنى أَهلُ المعانى ، ومن كان للحكمة يُعَانى [(٤)] ، فتفشَّى بى الأَوْرام الفاشِيَة [(٥)] ، وَتُلَيِّنُ بى الآلام القاسية ، وتلطف بى الطبائع العاتية ، ويدفَعُ بى الأدوَاء العادِيَة ، والناس يتنعمون بيابسى ورطبى ، جاهلون بعِظَم خَطْبى ، غافِلُون عَمَّا أُودعَ فيَّ من حِكَم ربى ، ولسان الحال يقول عنى بلا ضجر ، فإنى لمن تدبرنى عبرةٌ لمن اعتبر ، وتذكرةٌ لمن ادّكر ، وفِيَّ مُزْدَجَرٌ لمن ازدجر ، حِكْمَةٌ بالِغَةٌ فما تُغْنى النُّذُرْ [(٦)] ، وفى ذلك أقول :

وَلَقَدْ عَجِبْتُ مِنَ البَنَفْسجِ إِذْ غَدَا ... يَحْكِى بأَوْرَاقِ عَلى أَغْصَانِهِ
جَيْشاً طَوَارِقُهُ [(٧)] الزَّبَرْجَدُ [(٨)] رُصِّعَتْ ... أَحْجَارُ يَاقُوتِ عَلَى خِرْصَانِهِ [(٩)]
فَكَأَنَّما أَعْدَاؤهُ بِجِلَادِهِ ... شِيلَتْ رءوسُهُمْ على عِيدَانِهِ

* * *

(١) السوم : (السُّومة) بالضم : العلامة تجعل على الشاة وغيرها ، ومنه الخيل (المُسَوَّمة) أى المُعلَّمة .

(٢) ممعوكاً : يقال : (تمَعَّكَتِ) الدابة : أى تمرغت ، و (مَعَّكها) صاحبها (تَمْعيكاً) .

(٣) معروكاً : (العَرِيكة) الطبيعة ، ويقال : فلان لين العريكة ، أى سلس ، ويقال : لانت عريكته إذا انكسرت نخوته .

(٤) قصد المؤلف من ذلك إلى استعمال البنفسج فى المعالجة والتداوى ، وكان الطب يعتبر من أقسام الحكمة .

(٥) الفاشية : المنتشرة ، والتفشيش : إزالة الانتفاخ .

(٦) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة القمر ، الآية (٥) .

(٧) طوارقه : (الطُّرّاق) المتكهنون و (الطَّوارق) المتكهنات ، قال لبيد :

لعمركَ ما تدرى الطوارقُ بالحصى ... ولا زاجرات الطير ما الله صانع

(٨) الزَّبَرْجَد : حجر يشبه الزمرد وله ألوان كثيرة أشهرها الأخضر .

(٩) خرصانه : (الخِرْص) بضم الخاء وكسرها : الحلقة من الذهب والفضة . و (الخَرْص) بفتح الخاء : حرز ما على النخل من الرطب تمراً .

إِشَــارَةُ الـمَنْثُـور (*)

فتأوَّهَ مَنْظُومُ المنثور ، بِنَفَثِهِ المصدُور ، ورشفه الموتور (١) ، وقال : ما هذا الغرور بالعمر المبتور ، وما هذا السرور بالعيش المكدور ، أما يعتبر العاقل بغصنى المـآئل ، ولونى الحائل (٢) ، وعمرى الزائل ، وأيَّامى القلائل . غيّرتنى حوادثُ الأيَّام ، فَقَسّمتْ لَوْنِى ثَلَاثة أقسام ، فمنى الأصفر ، كُسِى من السقم ثوباً مُعَصْفراً (٣) ، ومنى الأبيض اليقَقْ (٤) ، والأزرق الذى كاد بكمده يحترق .

فأما الأبيض ، فلا يَفُوحُ عِطْرُهُ ، ولا يُنْشَقُ (٥) نَشْرُهُ ، ولا يكشَفُ سْتْرُهُ ، وذلك لأَنَّهُ كتم سِرَّهُ فَمَا بَاح ، وأخْفَى عِطْرَهُ فَمَـا فَاح ، وملك أَمْرَهُ فَلَا تَلْعَبُ بِهِ الأهواء والرياح .

وأما الأصفر ، فخلع العذار (٦) واستراح ، وتوشّح من السُّقم بِوَشَاح (٧) ، وفاج بعطره فى الغُـدُوِّ والرَّوَاح . ونَشَرَ أَنْفَاسَـهُ فى المساءِ والصَّبَاح ، يقول بلسانِ حَالِهِ ، وصـدق مقـاله :

إِنْ غَلَبَ وَجْدِى وبُحْتُ بما عِنْدِى   فَلَيْسَ عَلَى العَاشِـقِ إِنْ بَاحَ جُنَـاحٌ

(*) المنثور : جنس نبات من الفصيلة الصليبية ، منه البرّى ، ومنه ما يزرع ، ومنه أنواع : المنثور الأصفر المألوف ويدعى الخيرى الأصفر ، وهناك المنثور البستانى ، والمنثور الليلى ، والمنثور الشتوى . وتختلف ألوانه من أحمر إلى بنفسجى إلى أبيض وأصفر ومرقّط وموشّح .

(١) **الموتور** : من قُتل له قَتيل فلم يُدرك ثأره . (٢) **الحائل** : (حَالَ) لونه تغير واسود .

(٣) **معصفر** : (العُصْفُر) بضم العين والفاء : صبغٌ . وقد (عَصْفَرَ) الثوب (فَتَعَصْفَر) .

(٤) **اليقق** : أبيض (يَقَقٌ) أى شديد البياض نَاصعه .

(٥) **ينشق** : (نَشَق) منه ريحاً طيبة أى شم . والمعنى : ولا يشم منه رائحة طيبة .

(٦) فى المعجم الوسيط (٢/٦١١) : اعتذر العمامة : أرخى لها عذبتين من خلف .

(٧) **توشح** ، **بوشاح** : (الوِشَاح) بالكسر : شىء ينسج من أديم عريضاً ويرصع بالجوهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها ، و (تَوَشَّحها فَتَوَشَّحَتْ) لبسته ، وربما قالوا : تَوَشَّح الرجل بثوبه وسيفه .

لَا تَلُمْنِى إنْ بَدَا مِنّى افْتِضَاحْ ... فَمَا عَلَى مَنْ بَاحَ فى الحبِّ جُنَاحْ
فَبِحَقِّ اللَّهِ يَا نَسِيمَ الصَّبَا[1] ... بَلِّغْ سَلَامِى أَهْلَ تِلْكَ البِطَاحِ[2]
وَقُلْ لَهُمْ عَنِّى مضْنَاكُمْ ... يُقْلِقُهُ البَرْقُ وَمَرُّ الرِّيَاحِ
مَا نَفَحت مِنْ نَحْوِكُمْ نِسْمَةٌ ... إلَّا وسحَّ الدَّمْعُ[3] شَجْواً وَسَاح
لَوْلَاكُمْ يَا أَهْلَ ذَاكَ الحِمَى ... مَا رَاحَ قَلْبِى مُوثَقاً بالجِرَاحِ
أَسَرْتُمُ القَلْبَ فَيَكْفِيكُمُ ... لَا تَقْتُلُونِى قَدْ رَمَيْتُ السِّلاحَ

وأما الأزرق منه، فانطوى فى جَوَاه[4]، وصبر على أذاه، وكتم بالنهار شذاه، وقال: أنا لا أبُوح بسرّى لعاشق، ولا أفُوح بنشرى لناشق، فإذا جنّ ليلى أبديت ما بى لأحبابى، وشكوت مُصابى لأهل أوصابى[5]، فإذا دارت الكؤوس، شربتُ كاسى، وإذا طابت النفوس صَعَّدتُ أنفاسى لِجُلَّاسى، فأنا لِجُلَّاسِى كالخِلِّ المُوَاسى، ومتى دُعِيتُ إلى أُنَاسِى سعيت على راسى، وإلى اللَّهِ أشكو ما أُقاسى من القلب القاسى، وما كتمتُ بالنهار عطرى، واخترت فى الليل هتك سترى و إلَّا لأن فى اللَّيل خَلْوَةُ العشاق، وراحة كل مشتاق، وَغَيْبُوبَة الرقيب، وحضرةُ الحبيب، إذ قال: هل من سائل جعلت أنفاسى إليه رسائل، وَذُلِّى لَدَيْهِ وسائل، وفى ذلك أقول:

أُصَعِّد أَنْفَاسَ شَوْقِى إِلَيْهِ ... وَأُوقِفُ طِيبَ ثَنَائِى عَلَيْهِ
وَمَابِى إِلَى وَصْلِهِ شَافِع ... سِوَى حُسن ظَنّى وذُلِّى لَدَيْهِ
وَقَلْبِى فِى سَخْطِهِ وَالرِّضَى ... سَوَآءٌ فَلَا حَال عن حَالتَيْهِ

---

(١) **نسيم الصبا**: (النَّسيم) الريح الطيبة، و(الصَّبَا) ريح ومهبها المستوى أن تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار.

(٢) **البطاح**: (الأَبْطح) مسيلٌ واسع فيه دُقاق الحصى، والجمع (الأَبَاطِح) و(البِطَاحِ) بالكسر، و(البَطِيحة) و(البَطْحاء) كالأبطح، ومنه بطحاء مكة.

(٣) **وسح الدمع**: (سَحَّ) الماء: صبه، **وسَحَّ الماء بنفسه**: سال من فوق، وكذا المطر والدَّمع.

(٤) **جواه**: (الجَوَى) الحرقة وشدة الوجد. وقد (جَوِىَ) فهو (جَوٍ).

(٥) **أوصَابى**: (وَصَب) الشىء (يَصِب) بالكسر (وُصُوباً) دام. والمعنى: أهل مداومتى.

إشَـارَةُ اليَاسـمِين (*)

فصاح بفصاحته الياسمين ، وقال : أنا الياسمين ، ويْحَكُم إنى أفوح بوقاحة روحى بين الرياحين ، وأترَدَّدُ على الآثار حيناً بعد حين ، أُجْلَبُ من خَزَائن الغُيُوب ، ولا أسكنُ إلَّا فى كماين الجيوب ، أبوح بسرّى أينما حضرت ، وأفوح بعطرى أينما خطرت ، لا أخفى على ذى ذوق ، ولا يُنكرنى من له شوق ، فريحى على الرياحين يعلو ، وزهرى ونشرى على الأزاهير ينمو ، لأنَّ من طاب معناه ، كان أطيب وأذكى ، ومن صحّ دعواه ، كان أطهر وأذكى ، فمن أراد مراتب العُلى فَلْيَعْلُ بلطافة معانيه ، وليرقَ فى دَرَج معاليه ، ولا يكن ممن قَصَّرَ فى تدانيه ، فما يفوز بأمانيه . ثم إنَّ فيَّ إشارة ، وحقيقتها للعالمين بشارة ، فأول اسمى ياس وآخره مين ، فاليأس شَيْن والمين زين ، فلما اجتمعا ياس ومين دَلَّا على بينونة البين ، وَبَشَّرا بقرة العين ، وفى ذلك أقول :

رَأَيْتُ الفَـأْلَ (1) يُخْبِرُنِى بِخَبَرٍ ... وَقَـدْ أهْـدىَ إلىَّ اليـاسـمينُ
قَالَ : لَا تَحْزَنْ فإنَّ الحُزْنَ شَيْنٌ ... ولا تَيْـأَسْ فـإنَّ اليَـأْسَ مَـينُ

* * *

(*) الياسمين : نبات ذكى الرائحة ، شجيراته متسلقة ، يعرف منها الآن أكثر من (٤٠) نوعاً ، وأزهارها بيض أو صفر أو وردية ، ولذلك استنبت منها كثير فى البساتين ، وأنشد فيه الشاعر :

رقَّةُ اليـاسَمين والبَهْجَـةُ النَّضْـ ... ـرَةُ والمنظـرُ الرقيـقُ الأنيـقُ
كَسْـوةٌ من عَـوارضٍ عَبِقَـاتٍ ... أُنفـاتٍ بهـا النَّعـيمُ شـريقُ

(1) الفَـأْل : أن يكون الرجل مثلاً مريضاً فيسمع آخر يقول : يا سالم ، أو يكون طالباً لشىء فيسمع آخر يقول : يا واجد ، يقال : (تَفَأَّلَ) بكذا بالتشديد ، وفى الحديث : « كان النبى ﷺ يحب الفأل ويكره الطيرة » .

إشَــارَةُ الرّيحَــان (*)

فقال الريحان : قد آن حضورى ، وحان سرورى ، فخذونى خديماً ، واتخذونى نديماً ، فرطيب خُضْرَتى يُخْبرُ عن طيب حَضْرَتى ، وكيف تستريح روحٌ بغير ريحان ، أم كيف يطيب وقتٌ بغير ألحان ، أنا الموعود بى فى الجِنَان (١)، السارى بأنفاسى إلى صميم الجَنَان (٢)، فلُونى أعدل الألوان ، وكونى ألطف ما فى الأكْوَان (٣) ، فمن جَنَانى يَستنشق نشرى المنطوى فى جَنَانى ، فأنا أليف الأنهار ، وحليف الأزهار ، وجليس السُّمَّار (٤)، وكاتم الأسرار ، فإن سمعت فى جنسى بالنّمام ، فلا تكن له من اللُّوَّام ، فإنه ما نَمّ

(*) **الريحان** : اسم جامع للرياحين الطيبة الريح ، وفى القرآن الكريم قوله تعالى فى سورة الرحمن ، الآية (١٢) : ﴿ **وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ** ﴾ .

والريحان فى مصر يطلق على المرسين أعنى الآسُ ، وفى الشام يطلق على جنس من فصيلة الشفويّات ، ويضم عدة نباتات عطرة ، ويدعى فى العربية (حَبَق) ، وفى لسان العلم (أُوقيمُن) من كلمة يونانية الأصل . والحبق أنواع كثيرة منه : الحبق المعروف ، والحبق الصغير ، والحبق كبير الزهر ، وحبق سرنديب .

قال الشاعر على النيفر :

بين الأَزَاهِرِ فَاحَتْ زَهْرَةُ الآسِ ... فَعَطَّرَتْ رَوْضَنَا مِنْهَا بِأَنْفَاسِ
بَيْضَا مُفَتَّحَةً ، كَالأُذْنِ ، تَحْسَبُهَا ... أَمْسَتْ تَسْمَعُ لِلأَطْيَارِ وَالنَّاسِ
وَلِلْعَصَافِيرِ تَشْدُو ، وهى فى طَرَبٍ ... من فَوْقِ أَغْصَانِهَا لَحْناً بِقُسْطَاسِ
حَتَّى غَدَا الرَّوْضُ يَزْهُو فى مَبَاهِجِه ... وَمَنْ بِهِ بين إِنْعَاشٍ وَإِينَاسِ
وَسَبَّحَ اللَّهَ مَوْلَانَا ، وَقَدَّسَهُ ... كُلٌّ بِإِحْسَاسِهِ أَوْ دُونَ إِحْسَاسِ

(١) **الجَنَان** : بالفتح القلب .

(٢) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الواقعة الآية (٨٩) : ﴿ **فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ** ﴾ .

(٣) **الأَكْوَان** : جمع (الكَوْن) .

(٤) **السُّمَّار** : (السَّمَر) ، و (المُسَامَرة) الحديث بالليل ، و (سَمَراً) أيضاً بفتحتين فهو (سامِرٌ) و (السَّامِرُ) أيضاً (السُّمَّار) وهم القوم يسمرون .

إلَّا على عطره ، ولا باح إلَّا بسره ، ولا فاح إلَّا بنشره ، باح بسره إعلاماً ، ونشر بنشره أعلَاماً ، فلذلك سمى نمَّاماً ، فليس من نمّ على نفسه كمن نَمّ على غيره ، ولا مَنْ جاد بخيره كمن عاد بضيره ، فقد جرت الأحكام ، وجفت الأقلام ، أن النّمام مذمومٌ بين الأنام والسلام ، وفى ذلك أقول :

سَائِلِى عَنْ خَفِىّ سِرّ غَرَامى وَيْكَ[1] اقصر وَخَلِّنى وَهَيَامِى
أَنَا مُسْتودِعٌ لِسِرّ حَبِيبِى كَيْفَ أُبْدِى وَلَسْتُ بالنَّمَّامِ

* * *

إِشَارَةُ الأُقْحُوان(*)

فنادى على نفسه الأقحوان، وهو بما كُسِى من النضارة فرحان، وقال : قد آن ظهورى ، وحان سرورى ، واعتدل فصل وجودى ، وطاب فى الحضرة شهودى ، وكيف لا يطيب وقتى ، وهذه الأَنْهَارُ تجرى من تحتى ، وكيف لا أؤدى بالشكر زكاة حولى، وقد تمَّ لى نصابى من حولى ، وما ذاك من قوّتى ولا حولى ، فبياضى هو العَلَمُ المُعَلم ، واصفرارى هو السقم المُبرّم[2] ، واختلاف ألوانى هو المتشابه المُحكَم ، فإن كنت للرموز تفهم ،

---

(١) وَيْكَ : كلمة مثل وَيْبٌ وَوَيْحٌ ، والكاف للخطاب .

(*) الأقحوان : (أقحوان) اسم مفرد ، وجمعه (أقاح) ويسمى فى المغرب شجَيرة مريم ، وفى مصر الكركاش ، وفى سوريا رجل الدجاجة ، وفى الموصل الكافور .

وهو نبات عشبى ساقه مستقيمة متفرعة ، وأوراقه مجنحة ، وأزهاره بيضاء أو صفراء ، تشبه أزهار البابونج بشكلها ، والنبات بأجمعه ذو رائحة راتنجية قوية نتنة مغشية ، وطعمه شديد المرارة .

قال الشاعر :

ومن لُؤلؤٍ فى الأُقحوان مُنظم على نُكَتٍ مُصفرةٍ كالفَرائد
يُذكرنا رَيَّا الأحبَّةِ كلّما تَنفَّس فى جُنحٍ من اللَّيل بارِد

وقال لقيط بن يعمر :

وَوَاضِحٍ أَشْنَبَ الأنْيابِ ذِى أَشر كالأُقْحُوان إذَا مَا نُورُهُ لمعا

(٢) المبرّم : (أبرم) الشىء أحكمه . والمعنى : المحكم .

فَقُم إليَّ تَغْنَم وإلَّا فَنَمْ ، وإن كنت لا تدرى ما تَمَّ فحقيقٌ أن يقام عليك مأتم ، وفى ذلك أقول :

إِذَا لم تُـدْرِكِ المَعْنَى وَتَـدْرِى ... خَفَـايَا مَا أَقُـولُ فَلَا تَلُمْنـى
نَصَـحْتُكَ مُشْفِقاً بِلِسَـانِ حَالى ... وَمَا يُنْبِئُكَ شَـرْحُ الحَالِ عَنّى
أَمَا يَكْفِيـكَ حَـوْلِى كلَّ حَـوْلِ ... وَمَا نَالَتْـهُ أَيْـدى الدَّهْـرِ منّى
فَكَمْ وَافَيْتَنِى فى جَمْـعِ شَـمْلٍ ... زَمَـاناً ثمَّ جِئْتَ وَلَمْ تَجـدنى
حمـامُ الأَيْـك يُسْعِدُنِى إذَا ما ... شَكَوْتُ إليـهِ مَا أَلْقَى يُجبْنِـى
يَنُـوحُ علىَّ من عَـلِمَ بأنّـى ... ملقّـى للفنـاءِ بِكُلِّ فنٍّ
وَأَنْـتَ تظنّـهُ لَعِبـاً وَلَهْـواً ... فَتَمْـرَحُ بَيْنَ عِيـدَانِى وَغُصْنِى
حَقِيقـاً أَنْ يُنَـاحَ عَلَيْـكَ إِذَا لَـمْ ... تُفـرِّقْ بَيْنَ أَفْرَاحِى وَحُـزْنِى

* * *

إِشَـــارَةُ الـخُزَامى (*)

فلما رأى الخزامى ما يكابده الزهر قيداً والتزاماً ، فمنهـا ما يضام (١) ، فينثر بعـد النظـام ، وبالثمن البخسِ يُسام ، فقـال : مالى وللزحـام ، ومالى ومعاشرة اللِّئام (٢) ، أنا من بين الأزهار لا أجاور الأنهار ، ولا أسكن إلَّا على شَفا جرف هـار (٣) ، بل أوافق الوحش فى النِّفار (٤) ، وسكنى البـوادى والقفار (٥) ، أحبّ من الخلوات فسيح الفلوات (٦) ، ولا آسف على ما فات ، فلا أزاحم فى المحـافل ، ولا أتحمل مِنّـة الزارع والكافل ، ولا تقطفنى أيدى الأسافل ، ولا أُحْمَل إلىٰ لاعب ولا هازل ، ولكننى بعيد عن المنازل ، تجدنى بأرض نجدٍ (٧) نازل ، رضيت بالبرّ الفسيح ، وقنعت بالعرعر والشِّيح (٨) ، تعبث بنشرى الريح ، فتحملنى إلى ذوى التقديس والتسبيح ، فلا ينشق

(*) الخـزامى : هو زهر يضرب به المثل فى الطيب ، أوراق أشجاره ضيقة ، وأزهارها سنبلية زرقاء ، وهو يتكاثر بالبذور ، ويزرع فى حافات الحياض فى بساتين الخضرة .

(١) **يضـام** : (الضَّيْم) الظلم . وقد (ضَامَه) فهو (مَضِيم) و(استضَامه) فهو (مُسْتَضَام) أى مظلوم . وقد (ضُمْتُ) بضم الضاد : أى ظُلِمْتُ .

(٢) **اللئـام** : (اللَّئيم) الدنئ الأصل الشحيح النفس . وقد (لَؤُم) بالضم (لُؤْماً) و(مَلأَمة) أيضاً و(لآمةً) و(أَلْأَمَ إِلْأَماً) إذا صنع ما يدعوه الناس عليه لئيماً .

(٣) **جرف هـار** : (الجُرُف) بضم الراء وسكونها ما تجرفته السيول وأكلته من الأرض ، ومنه قوله تعالى : ﴿ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ﴾ [التوبة : ١٠٩] . وقد (جَرَّفَته) السيول (تَجْرِيفاً) و(تَجَرفَته) .

(٤) **النفـار** : (نَفَرت) الدابة تَنْفِر بالكسر (نفاراً) ، وَتَنْفُر بالضم (نُفُوراً) و(نَفَر) الحاج من مِنًى ، و(أَنْفَرَهُ) عن الشىء و(تَنفيراً) و(اسْتَنْفَرَهُ) وكله بمعنى . و(الاسْتنفار) النفور أيضاً ، ومنه (حُمُرٌ مُسْتَنْفِرة) أى (نَافِرَةٌ) و(مُسْتَنْفَرَة) بفتح الفاء : أى مذعورة .

(٥) **القفار** : (القَفْر) مفازةٌ لا نبات فيها ولا ماء ، والجمع (قِفَار) يقال : أرض (قَفْرٌ) ومفازة قَفْر .

(٦) **الفـلوات** : (الفَلَاةُ) المفازة ، والجمع (الفَلَا) و(الفَلَوَاتُ) .

(٧) **نجـد** : (النَّجْد) ما ارتفع من الأرض ، والجمع (نِجَاد) بالكسر . و(نجْد) من بلاد العرب ، وهو خلاف الغَوْر ، فالغور تهامة وكل ما ارتفع عن تهامة إلى أرض العراق فهو نجْدٌ .

(٨) **الشِّـيح** : نبتٌ . و(المَشْيُوحاء) بالمد وسكون الشين : الأرض التى تنبت الشيح .

نشرى، إلّا من له شوق صحيح، وذوق صريح، ومن هو على زهد المسيح، وصبر الذبيح [1]، فأنا رفيق السوّاح، فى الغدوّ والرواح، فأفوز بالأجور، وأسلم من حضور أهل الفجور، ومن يقترف المعاصى بالجحور، فلا أحضر على مُنكر، ولا أجلس عند من يشرب ويسكر، فأنا الحرّ الذى لايباع فى الأسواق، ولا ينادى علىّ بالنّفاق، فى سوق النّفاق ولا يُحضرنى الفُسّاق، ولا ينظرنى إلّا من شَمَّرَ عن سَاق، ورَكِبَ على جواد العزيمة وساق، فلو رأيتنى فى البوادى، يهيم بى النسيم فى كل وَادِى، أُعطّر النَّادِى وأُروّح البادى، إن عرّض بذكرى الحادى، حنَّ إلىَّ كل رآئح وغادى، وفى ذلك أقول:

يُحَدِّثُنِى النَّسِيمُ عَنِ الخُزَامِى ... وَيُقْرِينِى عَنِ الشِّيحِ السَّلَامَا
فَهِمْتُ بما فَهِمْتُ وَطِبْتُ وَجْداً ... فَمَا أَحْلَاهُ لِى لَوْ كَانَ دَامَا
وَتَسْرِى تَحْتَ جُنَحِ اللَّيلِ سِرًّا ... فَتُوقِظُنى وَقَدْ هَجَعَ [2] النِّيَامَا
فَأَسكِرُ من شَذَاهَا حِينَ هبَّتْ ... كَأَنِّى قَدْ تَرَشَّفْتُ [3] المَدَامَا
تُعَارِضُنِى بِأَنْفَاسٍ مِرَاضٍ ... كَأَنْفَاسِى وَقَدْ حُشِيتُ غَرَامَا
وقد عُرِفَتْ بِطِيبِ العُرْفِ لمَّا ... كَسَاهَا اللُّطْفُ أَخْلَاقاً كِرَامَا
أَهِيمُ بنشرها طَرَباً وَسَكْراً ... فَيُبْدِى البَرْقُ مِنْ طَرَبِى ابتِسَامَا
تَمُرّ عَلَى الرِّيَاضِ رِيَاضِ نَجْدٍ ... فَتَنْعَطِفُ الغُصُونُ لَها احْتِشامَا
وَيُقْلِقُنِى حِمَامُ الأَيْكِ [4] نَوْحاً ... وَتُذَكِّرُنِى المَنَازِلَ والخِيَامَا
خِيَامٌ تجمعُ الأَحْبَابَ فِيهَا ... وَفِيهَا يَبْلُغُ القَلْبُ المَرَامَا [5]
وَتَجَلَّى وَجْه مَنْ أَهْوَاهُ فيها ... بِبَهْجَةِ نَوْرِهِ يُجَلِّى الظَّلَامَا

* * *

(١) الذبيح: يقصد سيدنا إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - .
(٢) هجع: (الهُجُوعُ) النوم ليلًا، و(التَّهْجَاع) النومة الخفيفة، ويقال: أتيت فلاناً بعد (هَجْعَة) أى بعد نومة خفيفة من الليل.
(٣) ترشفت: (الرَّشْفُ) المصُّ. وقد (رشفه) و(ارتَشَفَه) أيضاً.
وفى المثل: الرَّشْفُ أنفع: أى إذا (تَرَشَّفْتَ) الماء قليلًا كان أسكن للعطش.
(٤) الأيك: الشجر الكثير الملتف، والواحدة (أَيْكَة).
(٥) المراما: (رَامَ) الشىء طلبه، و(المَرَام) المطلب.

إِشَـارَةُ الشَّـقِيق (*)

فتنفّس الشقيق من بين ندمائه ، وهو مضرّجٌ بدمائه ، واستوى على ساقِهِ ووثب ، وقال : ياللهِ العجب ما بال لونى بَاهِى (١) ، وحسنى زَاهِى ، وقدرى بين الرياحين واهى ، فلا أحدٌ بى يباهى ، ولا ناظِرٌ إلىَّ سَاهِى (٢) ، فياليت شعرى ، ما الَّذى أسقط جَاهى ، أرفل فى ثوبى القانى (٣) ، وأنا مدحوضٌ (٤) عند من يلقانى ، فلا أنا فى الحضرة حَاضر ، ولا يشار إلىّ بالناظر ، ولا أصافح بالمناخر ، وما برحت فى عدد الرياحين آخر ، فأنا طريدٌ عن صحبى ، بعيد عن قربى ، وما أظن ذلك إلّا من سواد قلبى ، ولا حول لى عن مراد ربِّى ، فلما رَأيتُ بَاطنى محشُوًّا بالعُيُوب ، وقلبى مسودًّا بالذنوب ، علمت أن الله لا ينظر إلى الصُّور ، ولكن ينظر إلى القلوب ، فكان إعجابى بأثوابى سبباً لحجابى عن ثوابى ، فكنت كالرجل المنافق الذى حَسُنت سيرته ، وخَبُثت سريرته ، وراق فى المنظر سيمته ، وقلّ فى المخبر

(*) **الشقيق** : الشُّقْرُ : شقائق النعمان ، الواحدة شَقِرة .

والشقيق أو شقائق النعمان أو الشُّقَّار : جنس نبات من الفصيلة الرنقولية ، فيه أنواع تتخذ للزينة أشهرها ما يدعوه الشهابى : شُقّار إكليلى وما يدعى باللاتينية (أنيمون كوروناريا) وأصل كلمة أنيمون من النعمان ، أى شقائق النعمان . زهرته كبيرة بتلاتها حمراء أو وردية وفى وسطها المذاكير بلون أزرق مائل إلى السواد .

قال الأُخَيطِل الأهوازى فى الشقائق :

هذى الشقائِقُ قد أبصرتَ حُمرتها ... فوقَ السّوادِ على أعناقها الذُّلُلِ

كأنها دمعةٌ قد غسَّلتْ كُحُلًا ... جادَت به وَقْفةٌ من وجنَتىْ خَجِلِ

(١) **باهى** : (البَهَاء) الحسن ، يقال : (بَهَي) الرجل بالكسر بَهَاء .

(٢) **ساهى** : (السَّهْو) الغفلة . وقد (سَهَا) عن الشىء ، فهو (سَاهٍ) و(سَهْوانٌ) .

(٣) **القانى** : قنا لون الشىء قنوًّا : أى احمر ، فهو قانٍ .

(٤) **مدحوض** : دَحَضَ رجله : أزلقها .

قيمته ، فلو صلح قلبى ، لصلح أمرى ، ولو شاء ربّى ، لأطاب بين الخلائق ذكرى ، وأفاح بين الأزاهير عطرى ، لكنّ شذا الطيب لا يفوح ، إلّا ممن يطيب ، وإشارات القبول لا تلوح ، إلّا من رضى عنه الحبيب ، وحقٌّ لمن أصبح بهواه كئيب ، وعن معناه سليب ، أن يُندب عليه بالنحيب ، ويبكى عليه بالدّمع الصبيب ، عسى يرضى عليه الحبيب ، ويمنُّ عليه بالتوبة من قريب ، وفى ذلك أقول :

لا تلمنى إِذَا شققت ردائى	فملامى يزيد من حر دائى
أَنَا قَلْبِى قد سَوَّدَتْهُ ذُنُوبِى	وَقَضَى لى مُعَذِّبِى بِشَقَائِى
مَنْ رَآنِى يَظُنُّ خَيْراً وَلَكِنْ	بِاخْتِيَارِى يَظُنُّ أَنّى مُرائِى
مَنْ رَأَى حُسْنَ مَنْظَرِى وَلِبَاسِى	وَالرَّزَايا [1] مَحْشُوَّةٌ بِحَشَائِى
وَاحَيَائى إذا سُئلتُ وَمَالِى	مِنْ جَوابٍ وَاخَجَلَتِى واحَيَائى
لَوْ كَشَفَت السُّتُورُ عَنْ سُوءِ حَالى	لَرَأَيْتَ السُّرُورَ للأَعْدَاءِ
لَكِنَّ الأَمْرَ بَيْنَ قَلْبِى وَرَبّى	عَامِرٌ أَرْتَجِيهِ يَوْمَ مَعَادِى

* * *

(١) الرزايا : (الرُّزْء) و (الرزِية) و (الرَّزِيئة) بالمد ، و (الرَّزِيّة) المصيبة ، والجمع (الرَّزَايَا) . وقد (رَزَأَتْه رَزِيئَةٌ) أى أصابته مُصِيبة .

إِشَـارَةُ السَّـحاب (*)

فلما حسن العتاب ، وطاب فصل الخطاب ، سح دمع السَّحاب ، فانبسط وساح فى الرحاب (١) ، وقال : سبحان الله ! أَيُنْكرُ فضلى عليكم ، وأنا الباعث طلّى (٢) ووبلى (٣) إليكم ، وهل أنتم إلّا أطفال جورى ، ونسل وجودى ، كم ملأت الأرض بُرًّا (٤) بِبِرّى ، والبحر دُرًّا (٥) بِدَرّى ، أنا

(*) **السحاب** : جمعه (سُحُب) والواحدة (سحابة) وجمعها (سحائب) وهو البخار المتصاعد من الأنهار والبحار وكل الرطوبات الأرضية ، فإن التبخر دائم فى كل هذه المياه لا يفتر أبداً ، وإنما لا نراه بأعيننا ، لأن البخار يكون ذائباً فى الجو بالحرارة الجوية ، ولو حدث فى الجو برودة تكاثف بخار الماء المتصاعد وتكوّن ما يسمى بالضباب ، وهى الشابورة فى لغة مصر فلا يرى الإنسان موطئ قدمه ، هذه الشابورة هى السحاب بعينها ، لأن تلك الأبخرة متى صعدت للجو ولامست البرودة تكاثفت على هذا النحو ورؤيت لنا كأنها جبال وما هى إلا شابورة عالية ، ومتى زادت البرودة الجوية عن درجة احتمال ذلك البخار ذابت أجزاؤه ونزل نقطاً هو المطر .

ومن أسماء السحاب (الهَيْدَبُ) وهو المتدلى من السحاب كأنه هُدْب القطيفة .

قال عبيد بن الأبرص :

دَانٍ مسف فُوَيْـقَ الأرضِ هَيْـدَبَهُ ... يَـكَادُ يَلْمِسـه مَنْ قَـامَ بالرَّاحِ

وقال عمرو بن الأهتم :

تَأَلّقَ فِى عَـيْنٍ مِنَ المُـزْنِ وَادِقٌ ... له هَيْـدَبٌ دَانِى السَّحاب دَفُـوق

(١) **الرحاب** : (الرَّحيب) الواسع ، ومنه يقال : فلان رحيب الصدر ، و (رَحُبَت) الدار ، و (أَرْحَبَتْ) بمعنى اتسعت ، و (رَحَبَة) المسجد بفتح الحاء : ساحته ، وجمعها (رَحَبٌ) و (رَحَبَات) .

(٢) **طلىّ** : (الطَّلُّ) أضعف المطر ، وجمعه (طلال) تقول منه : (طُلَّت) الأرض ، و (طَلَّها) الندى ، فهى (مَطْلُولة) .

(٣) **ووبلى** : (الوَابل) المطر الشديد . وقد (وَبَلت) السماء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَخْذاً وَبِيلاً ﴾ [المزمل : ١٦] أى شديداً ، وضربٌ وبيلٌ وعذابٌ وبيلٌ : أى شديد .

(٤) **بُرًّا** : (البُرّ) جمع (بُرّة) من القمح .

(٥) **دُرًّا** : (الدُّرّة) اللؤلؤة ، والجمع (دُرٌّ) و (دُرَّات) و (دُرَر) .

مغـذّى نُطَف [١] البِذْر فى بطن أمّه ، ومستخرجه بالنّمو من غُمَّةِ غَمّهِ [٢] ، فإذا تمخّضت [٣] الحوامل بحملها ، واستُخْرجت بنات النبات من حُفْرة رَمْلها ، جعلت حـواليها إلىّ ، وحضـانتها لدىّ ، فلم يزل ثَدْى دَرّى عليه درَّاراً ، ومزيد بِرّى إليه مدْرَاراً ، فإذا انقضت أيّام الرضاع ، ولم يبق إلا أيّام الفطـام ، قطعت عنه درى ، فيصبح لأهل الدنيا حطـاماً ، وكان بالأمس يحرسُ أن لا يُضامَ سروره فى انسكاب عبراتى ، ونشوره فى بعث قطراتى ، فالكلّ فى الحقيقة أطفـالى ، لو اعترفوا بحقى لكانوا من الجوى أطفالى ، وقد سمع كل حَىٍّ فى الحَىّ ، وجعلنا من المَآءِ كل شىءٍ حَىّ [٤] ، وفى ذلك أقول :

وَإِذَا نَظَـرتُ لِربِيعِهَـا المِهْطَـالِى ... أَبْكِـى عَلَيْـهِ بِدَمْعِى الهَطَّـالِ [٥]
يَبْكِى المشُوقُ إِذَا البُروقُ تَبَسَّمَتْ ... وَوَشَـتْ إِلَيْـهِ نَسَـائِمُ الأَوْصـالِ
فَتَنَفّـس الصُّـعَدَاء مِنْ زَفَـرَاتِـهِ ... مُتَـلَفِّتـاً لِـدَوارِسِ [٦] الأَطْـلالِ
لا تَعْـذُلَنه عَلَى جَـواهُ وَلَا تَلُمْـ ... ـه فَلَسْت عَنْه إلى المماتِ بسَالِى
واحـذر مُقَـاوَمَةَ الغَـرَامِ فَإِنَّـهُ ... فِيـهِ اللَّبِيبُ مُبَلْبَـلُ البَلْبَـالِ [٧]

* * *

(١) **نطف** : (النُّطْفَة) الماء الصافى قل أو كثر ، والجمع (نِطَاف) بالكسر ، و (نَطَفَانُ) الماء بفتح الطاء : سيلانه . وقد (نَطَف) يَنْطِفُ بضم الطاء وكسرها .

(٢) **غمة غمه** : (الغمّ) واحد (الغُموم) تقول منه : (غَمَّه فَاغْتَمَّ) ، وتقول : (غمّه) أى غطاه (فانغم) و (الغُمَّة) الكربة .

(٣) **تمخضت** : (تَمَخُّض) اللبن و (امْتَخَض) أى تحرك فى الممخضة ، وكذا الولدُ إذا تحرك فى بطن الحامل .

(٤) فيه إشارة إلى قول الله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ سورة الأنبياء : الآية (٣٠) .

(٥) **الهطـال** : (الهَطْل) تتابع المطر والدمع وسيلانه ، يقال : (هَطَلت) السماء و (هَطَلَانا) بفتح الطاء ، و (تَهْطَالا) أيضاً ، وسحابٌ (هَطِلٌ) ومطرٌ (هَطِل) كثير الهَطَلان) .

(٦) **دوارس** : (دَرَس) الرسم عفا ، و (دَرَسْتَه) الريح ، و (دَرَسَ) الثوب أخلق .

(٧) **البَلْبـال** : الهم ووسواس الصدر .

إِشَـارَاتُ الأَطيـار
وَأَوَّلُهَا إِشَـارَةُ الهـزار (*)

فبينما أنا مُصْغٍ إلى منادمة أزهارها ، على حافات أنهارها ، إذ صاحت فَصاحةُ أطيارها من أوكارها ، فأول من صَوَّت الهزار ، ونادى على نفسه بخلع العذار ، وباح بما عنده من الأسرار ، وقال : أنا العاشق الولْهَان ، أنا الهَائِم اللَّهفان ، أنا الواله الظَّمآن ، إذا رأيت فصل الربيع قد حان ، ومنظره البديع قد آن ، تجدنى فى الرياض فرحان ، وعلى الأغصان أُرَدِّد الألحان ، أغنى فأطرب ، وأدير كأسى فأشرب ، فأنا من نشوتى سكران ، ومن نغمتى طربان (١) ، إذا زمزم النسيم ، وخفقت أوراق أغصان البان ، أرقص على العيدان ، كأن الزهر والنهر لى عبدان ، وأنت تحسبنى فى ذلك عابثاً ، لا والله ولست فى يمينى حانثاً ، إنما أنوح حزناً لا طرباً ، وأبوح ترحاً (٢) لا فرحاً ، لأننى لا أجد روضة إلَّا نُحت عليها وعلى اضمحلالها (٣) ، ولا خُضرة إلَّا تبلبلتُ على زوالها ، لأنى ما رأيت صفوة إلَّا وتكدّرت ، ولا عيشة حلوة إلَّا وتمررت ، وقد قرأت فى محكم القرآن ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** ﴾ (٤) فكيف لا أنوح على عيش يزول ، وحالٍ يحول ، ووصل عن قريب مفصول ، فهذه الجمل من شرح حالى تغنى عن الفصول ، وفى ذلك أقول :

حَديثُ ذَاكَ الحِمَى رَوْحِى وَرَيْحَانِى فَـلَا تَلُمْنِى إِذَا كَرَّرتُ أَلْحَـانِى

(*) **الهـزار** : طائر من رتبة الجواثم ، دقيق المنقار ، حسن التغريد .

(١) **طربان** : (التَّطْريب) فى الصوت مده وتحسينه . و (الطَّرب) خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور . وقد (طَرِبَ) بالكسر (طَرَباً) و (أَطْرَبه) غيره و (تَطَرَّبه) .

(٢) **ترحاً** : (التَّرَح) ضد الفرح .

(٣) **اضمحلالها** : ذهابها ، يقال : (أَضْمَحَلَّ الشىء) ذهب .

(٤) سورة الرحمن : الآية (٢٦) .

رَوْضٌ بِهِ الرَّوْحُ وَالرَّيْحَانُ قَدْ جُمِعَا ... وَخُضْـرَةٌ مَا لَهَـا فى حُسْـنِهَا ثَانِى
مِنْ أَبْيَـضَ يَقِـقٍ أَوْ أَصْـفَرَ عَبِـقٍ ... أَوْ أَزْرَقَ بـرقٍ أَو أَحْمَـرَ قَـانِ
وَالزَّهْرُ وَالنَّهْـرُ وَالأَطْيَارُ تَرْقُصُ فِى ... مَيْـدَانِ عِشْـقٍ عَلَى أَوْتَـارِ عِيـدَانِى
وَالأُنْسُ دَانٍ وَشَمْلُ الوَصْلِ مُجْتَمِعٌ ... هَـذَا هُـو العَيْـشُ لَوْلَا أَنَّهُ فَـانِى

* * *

إِشَـارَةُ البَـاز (*)

فناداه الباز من ميدان البِراز (١) : ويحك لقد صغر جِرمك (٢) ، وكبر جُرْمك ، وضعف قدرك ، ولقد أقلقت بتغريدك الطير ، وإطلاق لسانك

(*) **الباز** : من سباع الطير ، صالح للتمرن على الصيد ، وأجوده المنقط الأبيض ، وهو من أشد الحيوانات تكبراً وأضيقها ذرعاً ، وجمع البازى (بزاة) .

ومن عجائب المخلوقات : البازى من أشد الجوارح تكبراً وأضيقها خلقاً ، وقالوا : البازى لا يكون إلا أنثى ، وذكرها يكون من نوع آخر من الحدأة والشاهين ، ولهذا نرى الاختلاف فى أشكال البازات وذلك بحسب الذكر ، فلو كان الغالب عليه بياض اللون ، فهو أحسن البزأة ، وأسهلها رياضة ، وأجرأها قلباً . والبازى لا يتخذ الوكر إلا على شجرة لها أغصان لدفع ألم الحر ودفع البرد ، وإذا أراد أن يبيض ينى بيتاً مسقفاً لئلا يقع على فرخه المطر والثلج .

حكم أكله : يحرم أكله بجميع أنواعه لنهيه ﷺ عن أكل كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطيور . رواه مسلم عن ميمون بن مهران عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، وبهذا قال أكثر أهل العلم . قال الصنوبرى (أحمد بن محمد) يصف بازى أبى محمد بن أبى تمام :

بَازِيكَ هـذا مِن رَفِيـع البزِّ ... طِـرازهُ شَـاهِدُه فى الطُّـرَزِ
ذُو مِنْسَـرٍ أَقْنَى ورُسْـغٍ كَزِّ ... ومِخْلَبٍ لم يَعْدُ إِشْـفَى الخَـرْزِ
مُسَـرْبَلٌ مثل حَبِيـكِ القَـزِّ ... أو مثـل جَـزْعِ اليَمَـنِ الأَرْزِّى
جَمُّ المَهَـامِيز شَـدِيدُ الهَمْـزِ ... لمَّـا لَزَزْنا الطَّـيْرَ بعـد اللَّـذِّ
بأسْـفلِ القـاع وأعْـلَى النَّشْـزِ ... وكلُّنا مُنْتَصِـبٌ فى الغَـرْزِ
آبَ لنـا بـالقَبْـجِ والإِوَزِّ ... من جَيـلٍ صَـلْدٍ ومَـرْجٍ نَـزِّ
مَوسُـومَة الأَهْـبِ سِـمَاتِ الوَخْـزِ ... عَنَّ لَنَـا منـه سَحابُ رِجْـزِ
مُختطِـفٍ أعْمَـارهَـا مُبْـتَزٍّ ... فـأزَّتِ القِـدْرُ أَشَـدَّ الأَزِّ

(١) **البِراز** : بالكسر : ميدان المبارزة .

(٢) **جِرمك** : (الجِرْم) بالكسر : الجسد ، وبضمها : الخطأ والذنب .

يجلب عليك الضير ، وما يفضى بك إلى خير ، وما يهلك الإنسان ، إلا عثرات اللسان ، فلولا لقلقة[1] لِسَانك ، ما غربت عن أوطانك ، وأُخذت من بين أقرانك ، وحبست فى ضيق الأقفاص ، وسُدَّ عليك باب الخلاص ، فهل ذلك إلَّا ممَّا جناه عليك لسانك ، وأفصح به بيانك ، فلو اهتديت بشيمتى[2] ، واقتديت بسيرتى ، لبرئت من الملامة ، وعلمت أن الصمت رفيق السلامة ، ألا ترانى كيف ألفت السكوت ، ولزمت الصموت ، فكان الصمت جمالى ، ولزوم الأدب كمالى ، اقْتُنِصْتُ[3] من البادية قَهْراً ، وجلبت إلى بلاد الغربة جبراً ، فلا بالسريرة بُحت ، ولا على العشيرة نُحْت ، بل أُدِّبْتُ حين غُرِّبت ، وقُرِّبت حين جُرِّبت ، ومُنِحت حين امتحنت ، وقد قيل فيما تقدم من الزمان عند الامتحان يُكرم المرء أو يُهان ، نظر مؤدبى إلى تخليطى الوقت،فخاف عليَّ من المقت[4] ، فكمم بصرى بِكمامة ، ولا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ[5] ، وعقد لسانى بعقدة ، ولا تحرِّكْ به لسانك[6] ، وقيّد قدمى بقيد ، ولا تمش فى الأرض مَرَحاً[7] ، فأنا فى وثاقى أتألم ، وممَّا أُلاقى لا أتكلَّم ، فلما كُمِّمت وعُلِّمت ، وأُدِّبتُ وهُذِّبتُ ، استخلصنى مؤدبى إلى إرسال الصيد ، وأزال عنى ذلك القيد ، فأُطلقت وأُرسلت هناك بإشارة إنَّا أرسلناك[8] ، فلما رُفعت الأكمة عن عينى ، وأصلحت ما بينه وبينى ، رأيت الملوك خدمى ، وأكُفّهُم تحت قدمى ، وفى ذلك أقول :

---

(١) لقلقة : (اللَّقْلَقُ) اللسان ، وفى الحديث : « من وُقِيَ شَرَّ لَقْلَقِه » . قال أبوعبيد : (اللَّقْلَقة) شدة الصوت .

(٢) شِيمتى : (الشِّيمَةُ) الخلق .

(٣) اقْتُنصت : (القَانص) و(القَنِيص) و(القنَّاص) مفتوحاً مشدداً الصائد . و(القنيص) أيضاً الصيد ، وكذا (القَنَص) بفتحتين ، و(قَنَصه) صاده ، و(اقْتَنَصَه) اصطاده .

(٤) المقت : (مَقَتَه) أبغضه ، فهو (مَقِيتٌ) و(مَمْقوت) .

(٥) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة طه : الآية (١٣١) .

(٦) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة القيامة : الآية (١٦) .

(٧) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الإسراء : الآية (٣٧) ، وسورة لقمان : الآية (١٨) .

(٨) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة : الآية (١١٩) .

أَمْسَكْتُ عَنْ فَضْلِ الكَلَامِ لِسَانِي وَكَفَفْتُ عَنْ نَظَرِ العُلا إنْسَانِي(1)
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ قُـرْبَ مَنِيَّتِي لِزَخَارِفِ اللَّـذَّاتِ قَدْ أَنْسَـانِي
أُدِّبت آدَابَ المُـلُوكِ وَعَلَمتْ رُوحِي هُنَاكَ صَنَائِعَ الإِحْسَـانِ
أُرْسِلْتُ عَنْ كَفِّ المُلُوكِ مُجَرّداً وَجَعَلْتُ مَا أَبْغِيهِ نُصبَ عِيَانِي
حَتَّى ظَفَرْتُ وَنِلْتُ مَا أمّلتُهُ ثمّ اسْتَجَبْتُ إِلَيْهِ حِين دَعَانِي
هَـذَا لَعَمْرِكَ وسْمُ كلِّ مكلَّفٍ بِوَظَائِفِ التَّسْلِيمِ والإِيمَان

* * *

إِشَارَةُ الحَمَامَةِ (*)

فبينما أنات مستغرق في لذّة كلامه، معتبر بحِكَمِهِ وأحكامه، إذ رأيت أمَامَه حمامة، قد جُعل طوق العبودية فى عنقها علامة، فقلت لها: حَدِّثيني عن شوقك وذوقك، وأوضحى لى ما حكمة تطويق طوقك؟ فقالت: أنا المطوّقة بطوق الأمانة، المتقلّدة تقليد الصيانة، فأنا لحمل الأمانة قد نُدِبت،

---

(1) إنسانى: (إنسان العين) البؤبؤ.

(*) **الحمامة**: تطلق على الذكر والأنثى، والجمع حمام وحمائم وحمامات.

والحمام الذى يألف البيوت قسمان:

أحدهما: البرى، وهو الذى يلازم البروج وما أشبه ذلك، وهو كثير النفور وسمى بريًّا لذلك.

والثانى: الأهلى، وهو أنواع مختلفة وأشكال متباينة.

والحمامة من أشد الطيور ذكاء، ومن طبعه أن يطلب وكره ولو أرسل من ألف فرسخ، ويحمل الأخبار ويأتى بها من البلاد البعيدة، وربما اصطيد وغاب عن وطنه عشر حجج فأكثر، ثم هو على ثبات عقله وقوة حفظه ونزوعه إلى وطنه، حتى يجد فرصة فيطير إليه. وسباع الطير تطلبه أشد الطلب، وخوفه من الشاهين أشد، وهو أطير منه، ولكنه يذعر منه ويعتريه ما يعترى الحمار إذا رأى الأسد، والشاة إذا رأت الذئب، والفأرة إذا رأت الهر. ومن عجيب الطبيعة أنك ترى عجباً بين زوج الحمام من الملاعبة والغنج مثل ما يجرى بين الرجل والمرأة من القبل والملاعبة والمعانقة وغيرها.

ويمتاز صنف الحمام عن غيره من الطيور أنه عندما يشرب الماء لا يرفع رأسه، بل يغمر منقاره حتى المنخرين فينسحب الماء إلى الفم. ومن مناقبه حبّه للناس وأنس الناس به. وقد أكثر الشعراء فى وصف الحمام، ومن ذلك ما قاله خلف المازنى فى وصف حمامة:

مُطَـوّقَـة كَسَـاهَـا اللّـهُ طَـوْقـاً لَـمْ يَـكُـنْ ذَهَـبـاً
جُمُـود العَـيْنَ مَبْكَاهَـا يَـزِيـدُ أخـا الهَـول نَصَـبـاً =

وبالمحافظة عليها أُمرت ، فإذا رأيت أهل الجناية نَدَبْتُ أحمل الرسائل ، وأبلِّغ الوسائل، وأُجيب المسائل ، وأؤدى الأمانةَ ، ولا أسائل ، ولكنى أُخبرك بخبرى ، لتعلم حقيقة مخبرى ، أخبرك بالقصة الصحيحة ، فإن الدين النصيحة ، ما كلّ طائر أمين ، ولا كلّ حالف يصدق فى اليمين ، ولا كلّ سالك هو من أصحاب اليمين ، وإنما المخصوص بحمل الأمانة جنسى ، ومآ أُبرّىءُ نفسى ، يحمل الأمانة منّا من كان أبلق [1] وأخضر ، لأنه أحسن فى الشكل والمنظر ، وأعدل فى الخبر والمَخبر ، ولا تكون الشيم العليّة إلّا فى الروح الزكية ، ولا شرف العزيمة إلّا فى النفس النفيسة المستقيمة ، فإن اعتدال لون الطائر يدلّ على اعتدال تركيبه ، فيصلح حينئذ تقريبه وتأديبه ، فلما باشرنى مؤدبى بالتخريج ، وعرّفنى الطريق بالتدريج ، أقول : حمّلونى ما شئتم ، فأحمل كتب الأسرار ، ولطائف الأخبار ، فحينئذٍ أطير ، وأقطع الهول المستطير ، خائفاً من جارح جانح ، حاذراً من سايح سارح ، جازعاً من صائدٍ ذابح ، أكابد الظمأ فى الهواجر ، وأطوى على الطَّوى [2] فى المحاجر ، فلو رأيتُ حبةَ برّ مع شدّة جوعى ، عدلت عنها ، وذكرت ما جرى على آدم منها ، فأرتفع خشية من كمين فخٍّ مدفون ، أو شرك يعوقنى عن تبليغ الرسالة فأنقلب بصفقتى مغبوناً [3] ، فإذا أنا وصلتُ ، وفى مأمنى حَصَّلتُ أدّيت ما حُمِّلت ، وعملت بما عُلِّمت ، فهنالك طُوِّقت ، وبالبشارة خَلُقْت ، ثم أنقلب إلى شكر الله على ما وُفِّقت ، وفى ذلك أقول :

= مَفْجَعَــة بَكَتْ شَــجواً فنبت لِشَـجْوِهَا وَصَـباً
نــزف عـليـه إمَّــا مَالَ مِنْ شَـوْق أَوْ انْتَصَـبَا
وَمَـا فَغَـرت فَمًـا وَبَكَتْ بِلَا دَمْـعٍ لَهَـا انسَكَبَا

(١) أبلق : (البَلَق) سواد وبياض ، وكذا (البُلْقة) بالضم ، يقال : فرس (أبْلَق) ، وفرس (بَلْقاء) .

(٢) الطوى : (طَوَاه) تَطْوِيه (طَيًا فانْطَوَى) و (الطَّوَى) الجوع .

(٣) مغبون : (غَبَنَه) خدعه ، وقد (غُبِنَ) فهو (مَغْبُون) مخدوع .

أَأَحْبَابِى وَصَلْتُمْ أَوْ صَدَدتُمْ ... فَعَبْدُكُم على حِفْظِ الأَمَانَةِ
مُقِيمٌ لَا يُزَحْزِحُهُ عَذُولٌ ... وَلَا يُثْنِى مُعَنِّفُهُ عِنَانَه
حَمَلْتُ لِأَجْلِكُمْ مَا لَيسَ تَقْوَى ... جِبَالٌ أَنْ تَحْمِلَهَا وِزَانَه
فَحِفْظُ العَهْدِ مَا وَافَاهُ حُرٌّ ... وَلَوْ أَوْدَى [1] هَوَاهُ بِهِ وشَانَه [2]

* * *

إِشَارَةُ الخُطَّاف (*)

فبينا نحن نتذاكر أوصاف الأشراف ، وأشراف الأوصاف ، إذ نَظَرْت إلى خطّاف ، وهو بالبيت قد طَاف ، فقلت له : مالى أراك للبيوت ملازم ، وعلى مؤانسة الإنس عازم ، فلو كنت فى أمرك حازم ، لما فارقت أبناء جنسك ، ورضيت فى البيوت بحبسك ، ثم إنك لا تنزل إلّا فى البيوت العامرة ، والمنازل التى هى بأهلها عامرة ، فقل لى : يا كثيف [3] الطبع ، يا ثقيل السمع ، اسمع الآن قصة حالى ، وكيف عن الطيور ارتحالى ، أنا ما فارقت أمثالى ، وعاشرت غير أشكالى ، واستوطنت السقوف ، دون الشِّعاب ، والكهوف ، إلّا لفضيلة الغُربة ، ولزوماً لأدب الصحبة ، صحبت من ليس

(١) **أَوْدَى** : أهلك ، يقال : أودى الرجل أى هلك ، فهو (مُودٍ) .
(٢) شَانَه : من الشَّيْنُ الذى هو ضد الزَّيْن . والمعنى : أهلكه وشانه .
(*) **الخطاف** : بالضم طائر أسود صغير كالعصفور ، جمعه خطاطيف ، ويسمى العصفور الأسود ، وزرزور الهند ، وعصفور الجنة ، ومنه النوع المسمى بالسنونو ، يألف البيوت العامرة ، ولا يفرخ فى عش عتيق حتى يطينه بطين جديد ، ويزعم بعض الناس أنه هو الطير الأبابيل الذى عذب الله تعالى به أصحاب الفيل .
قال الشاعر :

خُطَّافَةٌ سَبَّحتِ اللَّهَ ... بعُجمةٍ يُفْهَمُ مَعْناها
مَديدَةُ الصَّوتِ إذا ما انتهتْ ... لكنها تُدْمَجُ مَبْدَاها
كقارئ إن تأتِهِ وَقْفَةٌ ... مَدَّ بها الصَّوْتَ وجَلَّاهَا

(٣) **كثيف** : (الكَثَافَةُ) الغلظُ فهو (كَثيف) و (تَكَاثَف) أيضاً .

منى لأكون غريباً ، وجاورت من هو خير منى لأضرب لى بينهم نصيباً ، فأعيش عيش الغُرباء ، وأفوز بصحبة الأُدباء ، فالغريبُ مرحومٌ فى غربتِهِ ، ملطوف به فى صحبته ، فقصدت المنازلَ ، غير مضرٌّ بالنَّازل ، أبتنى بيتى من حافات الأنهار ، وأكتسب قوتى من مباحات القفار ، فلست للجار كمن جار ، ولا لأَهل الدار كالغدّار ، بل أحسِن جِوَارى مع جارى ، أكثّرُ سوادهم ، ولا أستطعم زادهم ، فزهدى فيما فى أيديهم ، هو الذى حبّبنى إليهم ، ولو شاركتهم فى قُوتِهِم ، ما بقيت معهم فى بيوتهم ، فأنا شريكهم فى أبنيتهم ، لافى أغذيتهم ، مُزاحمهم فى أوقاتهم ، لافى أقواتهم ، مكتسب من أخلاقهم ، لا من أرزاقهم ، منتهبٌ من جمالهم ، لا من مالهم ، مقتبس من بِرِّهِمْ ، راغبٌ فى حُبِّهِمْ لافى حَبِّهِمْ ، فزهدى بما فى أيديهم هو الذى حببنى فيهم ، مقتدياً فى ذلك بإشارة صاحب البشارة ﷺ « ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس »[1] ، وفى ذلك أقول :

كُنْ زَاهِداً فِيمَا حَوَتْهُ يَدُ الوَرَى ... تُضْحَى إلى كُلِّ الأَنامِ حَبِيباً
أَوَ مَا تَرَى الخُطَّافَ حَرَّمَ زَادَهُمْ ... فَغَدا رَبِيباً[2] فى الحُجُورِ قَرِيباً

قُلْتُ : للهِ دَرُّكَ لَقَدْ عِشْتَ عَيْشاً سَعِيداً ، وَسِرْتَ سَيْراً حَمِيداً ، وَوُفِّقْتَ أَمْراً رَشِيداً ، وَقُلْتَ قَوْلًا سَدِيداً ، وَلَا أَطْلُبُ على مَوعظتك مزيداً ، فالعاقل يفهم ، والجاهل يندم .

* * *

---

(١) الحديث رواه ابن ماجه فى سننه (٤١٠٢) ، ورواه الحاكم فى المستدرك (٣١٣/٤) ، وأورده العجلونى فى كشف الخفا (١٥٦/١) ، والزبيدى فى إتحاف السادة (٣٠٩/٨) ، وأبو نعيم فى الحلية (١٣٦/٧) .

(٢) ربيباً : (رَبِيبُ) الرجل ابن امرأته من غيره ، والأنثى (رَبِيبة) .

إشَـارَةُ البُـوم (*)

فناداه البوم وهو منفرد بالخراب مهموم ، أيها الصديق الصادق ، لا تكن بمقالة الخطّاف واثق ، ولا لعقله موافق ، فإنه إن سلم من شُبَه زادهم ، فما سلم من شبهة فرحهم وأعيادهم ، وتكثير سوادهم ، وقد علمت أن من كثّر سواد قوم فهو منهم ، ولو صحبهم ساعة صار مسئولًا عنهم ، وقد علمت أن مبدأ التفريط من آفة التخليط ، والخُلطة غلطة ، وأول السيل نقطة ، واعلم أن السلامة فى العزلة ، فمن وَلِيها لا يخاف عَزْلَه ، فهلّا استسنَّ بسنَّتى ، وتأسّىٰ بوحدتى ، واعتزل المنازل والنازل ، وزهد فى المآكل والآكل ، فلا أُساكنُهُم فى مساكنهم ، ولا أُزاحمهُم فى أماكنهم ، ولا أُجالسهم فى مجالسهم ، بل اخترت لنفسى الداثر من الجدران ، ورضِيت بالخراب على العُمران ، فسلمت من الأنكاد ، وأمنت من شرِّ الحسّاد ، ولم أزلْ عن الأحباب فريداً ، وعن الأتراب بعيداً ، من كان مسكنه التراب ، كيف يساكن الأتراب ،

(*) **البوم** : جمعه أبوام للذكر والأنثى ، والهاء فى بومة للواحد لا للتأنيث ، وقيل : بومة للمفرد ، وجمعه بوم . وهو طائر يسكن الخراب ، لا يبرز بالنهار لضعف بصره ، يحب الوحدة ، وتتشاءم الناس به ، والحيات والأفاعى تهرب من صوته . قال الجاحظ : وأنواعها : الهامة (وهى العظيمة الرأس) والصدى ، والضُّوَعْ ، والبُوهَة ، والخَبَل ، والشبج . وبعض هذه الطيور يصيد الفأر والعصافير وصغار الحشرات ، وبعضها يصيد البعوض ، وهى من الطيور النافعة ككل الطيور الليلية ، وهى تبيض أربع بيضات ، وهى قوية السلطان بالليل لا يحتملها شىء من الطير ، فإذا رآها الطير بالنهار قَتَلْنَهَا ونتفن ريشها للعداوة التى بينهن وبينها .

وحكم أكله : يحرم أكل جميع أنواعها .

قال سويد بن أبى كامل عن البوم :

بئسَ ما يَجْمَعُ أنْ يَغْتَابَنى ... مَطْعَمٌ وَخمٌ وداءٌ يُـدَّرَعْ

لم يَضرِّنى غيرَ أنْ يَحْسدَنى ... فهو يَزْقُوا مثلَ ما يَزْقُوا الضُّوَعْ

[يدرع : يكتسى ، يزقوا : يصيح ، **الضوع** : من أسماء البوم] .

ومن كان الليل والنهار يجريان من عمره ، فكيف لا يقنع بالخراب ، ومن علم أن الموت وراءه كيف يتعلق بالأسباب ، ومن علم أن العمر قصير ، وأن كل شيءٍ إلى الفناء يصير ، قنع من الدنيا باليسير ، وبات على خشن الحصير ، وأفطر على قرص الشعير ، وعلم أن الخلق فى المصير ، فريقٌ فى الجنة ، وفريقٌ فى السَّعير [1] .

أما أنا فنظرت إلى الدنيا وذهابها ، وإلى الآخرة واقترابها ، وإلى القيامة وحسابها ، وإلى النفس واكتسابها ، فشغلنى التّفكير فى حالى عن منزلى الخالى ، وأذهلنى ما علىَّ ومالى ، عن أهلى ومالى ، وأهمنى صحتى واعتلالى عن القُصور العوالى ، فجلا [2] اليقين عن بصر بصيرتى كل شُبهة ، فعلمت أن لا فرح يدوم ولا نزهة ، وأن كلَّ شىء هَالِكٌ إلَّا وجهه [3] ، فعرفت من هو ، وما عرفتُ ما هو ، فحيث كنت لا أرى إلَّا هو ، وإذا نطقت فلا أقول إلَّا هو ، لأنه لَا إلٰهَ إلَّا هو [4] ، وفى ذلك أقول :

أَفْــرَدَنِــى عَـنْـهُــمْ هَـــوَاهُ ... وَلَيْــسَ لى مَقْصِــدٌ سِــوَاهُ
أَهِـيمُ وَحْدى بِصِـدْقِ وَجْدِى ... وَحُسْـنِ قَصـدِى عَسَى أَرَاهُ
أَنْكَر صَـحْبى غَـرَامَ قَـلْبِى ... وَمَـا دَرَوْا بِالَّـذِى دَهَـاهُ [5]
أَحْبَبْتُ مَــوْلَى إِذَا تجـلَّى ... يَقْتَبِـسُ البَـدْرُ مِنْ سَـنَاهُ
تَـحـيّر النَّـاسُ فيـه شَـوْقاً ... وَجُمْـلَةُ النَّـاس فِيـه تَـاهُ
وَلَا أســميه غــير أنّـى ... إنْ غَلَبَ الوجدُ قُلْتُ : يَا هُو

فأَخَذَتْ مَوْعِظَتُهُ بمجامِعِ قَلْبِى ، وقلت : هذا رحمة من ربى ، وَخَلَعَتْ عَنِّى ملابَسَ عُجْبى ، إلّا أنَّ الهوى يَقُولُ : عُجْ بى [6] .

---

(١) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الشورى ، الآية (٧) . (٢) جلا : أى أوضح وكشف .
(٣) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة القصص ، الآية (٨٨) : ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ .
(٤) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة البقرة ، الآية (١٦٣) .
(٥) دَهَاه : أصابه ، يقال : ما (دَهَاك) أى ما أصابك .
(٦) عُجْ بى : عاج فلان بالمكان : أقام فيه .

إشَــارَةُ الطَّـاووس (*)

ثم التفَتُّ ، فرأيت طاوُوساً ، قد شرب من خمرة العُجْب كؤوساً ، قد زخرف بملابس التلبيس ، وهو الذى عاد عليه شؤم إبليس ، قد زيّن ريشه ألوان ، وفنّن عيشه أفنان ، لا يأوى إلّا إلى الجِنَان ، والله يعلم بما فى الجَنَان ، فقلت له : ويحك ، كم بينك وبين البوم من الحظ المقسوم ، فأنت أيها العَانِى (١) نظرت إلى الصور ، وهو نظر إلى المعانى ، فأنت تفرح بالفانى ، وتغتر بالأمانى ، فقال لى : يا عانى ، يا من بالشماتة نَعّانى (٢) ، لا تظهر لى الشماتة ، ولا تذكّر الحزين ما فاته ، فقد قيل فى الخبر : « ارحموا عزيز قوم

(*) الطاووس : طائر هندى حسن الريش والهيئة ، وله ذيل طويل ، كثير الألوان ينشره وراءه على صورة جميلة ، والذّكر منه فى غاية الحسن ، له فى رأسه رياش خضر تتخللها ألوان أخرى زاهية ، وفى ذَنَبِهِ ريش أخضر فيه عيون ملونة ، وليس للأنثى شيء من ذلك . كنيته عند العرب أبو الحسن وأبو الوشى ، وهو فى الطير كالفرس فى الدواب عزًّا وحسناً ، وفى طبعه العفة ، وحب الزهو بنفسه ، والخيلاء والإعجاب بريشه ، وعقده لذنبه لا سيما إذا كانت الأنثى ناظرة إليه ، وإذا نظر إلى ساقيه وجم لذلك وانكسر نشاطه وزهده ، فصاح صياح العويل ، وذلك لدقة ساقيه ونتوء عرقوبيه ، والأنثى تبيض بعد أن يمضى لها من العمر ثلاث سنين .

وقد أحسن الشاعر فى وصفه حيث قال :

سُبْحَانَ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ الطَّاوُوسُ ... طيرٌ على أشْكالِهِ رَئِيسُ
كأنَّهُ فى نَقْشِهِ عَرُوسُ ... كأنَّما يَخْلُو بِهِ التَّغْرِيسُ
دِيبَاجَةٌ تُنْشَرُ أو سُدُوسُ ... فى الرِّيشِ منه رُكِّبَتْ فُلُوسُ
تُشْرِقُ مِن دَارَاتِها شُمُوسُ ... فى الرَّأسِ منه شَجرٌ مَغْرُوسُ
كأنَّه بَنَفْسَج يَمِيسُ ... أو زَهْرٌ مِن حُزَمٍ يَتُوسُ

وتضرب الأمثال بالطاووس منها : أزهى من طاووس ، وأحسن من طاووس .

(١) العَانِى : الأسير ، يقال : (عَنَا) فلان فيهم أسيراً ، أى أقام على إساره فهو (عَانٍ) وقوم (عُنَاة) ونسوة (عَوَان) .

(٢) نعانى : نعى على فلان ذنوبه : أظهرها وشهرها .

ذلّ ، وغنى قوم افتقر »[1] ، أين كنت يا مسكين ، وأنا فى الجِنَان أطوف بين الظلال والقطوف ، أدورُ دورَها ، وأزور حورها[2] ، وأسكن قصورها ، شرابى التسبيح ، وطعامى التقديس ، حتى ساق لى القدر إبليس ، فألبسنى ملابس التلبيس ، حتى عوّضنى بالخَسِيس[3] عن النفيس ، ولقد كنت لمراده كاره ، لكن القضآء والقدر يوقع فى المكاره ، وينفّرُ الطير عن أوكاره ، ولقد كان إبليس يرفل فى حُلَل[4] حُبّه ، وخلع قربه ، فما تركه شؤم[5] رأيه ، حتى تاه[6] على آدم بعُجبه ، فأوقعنى فى الخطيّة ، وما أطلعَنى على ماله فى الطويَّة[7] ، غير أنى كُنت له دَلّاله[8] ، وكانت الحيّة فى دخوله الجنة محتاله ، فأُخرجت معهم من دار العزّ إلى دار الهوانِ والإذلال[9] ، وقيل : هذا أُجرَة الدَّلّال ، وهذا جزآء من عاشر الأنذال[10] ، ثمَّ أبْقيَتْ عليّ زينة ريشى ، أتذكر بِهِ ما كان من صفو عيشى ، فيزيدنى ذلك تحرّقاً وتشوّقاً ، ثم جُعِلَتْ عليَّ علامة السخط فى ساقى ، أنظرها بإحداقى[11] ، وينادىٰ عليَّ

---

(١) أورده الزبيدى فى الإتحاف (٨/٥٥٩) ، وكذا على القارى فى الأسرار المرفوعة (٤٦٣) .

(٢) **حورها** : يقصد الحور العين .

(٣) **الخسيس** : الدَّنِئ . وقد (خَسّ) يَخَسّ بالفتح (خِسّةً) و (خَسَاسةً) و (اسْتَخَسّه) عده خسيساً .

(٤) **حلل** : (الحُلَل) برود اليمن ، و (الحُلّة) إزارٌ ورداء ولا تسمى حُلّة حتى تكون ثوبين .

(٥) **شؤم** : (الشُّؤْم) ضد اليُمْن ، يقال : رجل (مَشؤم) و (مَشْئُوم) ، ويقال : ما أشْأَمَ فلاناً ، والعامة تقول : ما أَيْشَمَه . وقد (تَشَاءَمَ) به بالمد .

(٦) **تاه** : يَتيه (تيهاً) تكبر .

(٧) **الطويَّة** : الضمير .

(٨) **دلاله** : (الدَّليل) ما يُستدلُّ به ، والدليل الدالُّ أيضاً . وقد (دَلَّه) على الطريق يَدُلُّهُ بالضم (دِلَالَةً) بفتح الدال وكسرها .

(٩) **دار الهوان والإذلال** : يقصد دار الدنيا التى نعيش فيها .

(١٠) **الأنذال** : (النَّذَالة) السفالة . وقد (نَذُل) فهو (نَذْل) و (نَذِيل) أى خسيس .

(١١) **إحداقى** : (حَدَقة) العين سوادها الأعظم ، والجمع (حَدَق) و (حِدَاق) و (التحديق) شدة النظر .

بنقض ميثاقى ، ثم إنى ألفت من البقاع بقعة ، تشاكل ما خرجت منه ، وطردت بما فعلت عنه ، فأتذكّر بالبساتين مرابع [(١)] ربوعى [(٢)] ، وأُجرى عليه سواكب دموعى ، وألوم نفسى التى كانت سبباً لوقوعى ، وأقول كلما ذكرت تفريق جموعى :

يَا دَارُ هَلْ يُقْضَى لنا بِرُجُوعِ ... وَيَعُودُ لِى يَا عَيْنُ طِيبَ هُجوعِى
يا سَادَةً كادَ المَشُوق بِذِكْرِهِ ... يَقْضِى أَسىً فى سَاعَةِ التَّوْدِيعِ
قَلْبِى لِيَوم فِرَاقِكُمْ مُتَوجِّعٌ ... وَارَحْمَتَاهُ لِقَلْبِى المَوْجُوعِ
فَرَّقْتُم مَا بَيْنَ عَيْنِى وَالكَرَى[(٣)] ... وَوَصَلْتُمُ بَيْنَ الأَسَى[(٤)] وَضُلُوعِى
جِسْمِى مَعِى وَالقَلْبُ بَيْنَ خِيَامِكُمْ ... ما ضرُّكُمْ لو كانَ ثَمَّ جَمِيعِى
وَإِذَا ذَكَرتُ ليالياً سَلَفَتْ لَنَا ... فى وَصْلِ أَحْبَابِى بَيْنَ ظِلِّ رُبُوعِى
فَأَكَادُ مِنْ حُرَقِى أَذُوبُ صَبَابَةً ... لَوْلَا يَجُودُ علىّ فَيْض دُمُوعِى
وَوَعَدتُّمُونِى فى الحَيَاةِ بِزَوْرَةٍ ... فَتَضَاعَفَتْ حُرَقِى وَزَادَ وُلُوعِى
إِنْ كَانَ ذَنْبِى صَدَّنِى عَنْ وَصْلِكُمْ ... فإليكُمُ فَقْرِى أَعَزُّ شَفِيعِى
مَاضِى القَطِيعَة لا يُعَادُ وَمَا جَرَىٰ ... كافٍ وَحُبِّى ذلّتى وَخُضُوعِى

فقال : تالله ، لقد رثيت [(٥)] لمصابه ، وبكيت لأوصابه [(٦)] ، لأنه لا شيء أبكى من الاغتراب ، بعد الاقتراب ، ولا أنكى [(٧)] من الحجاب ، بعد مشاهدة الأحباب .

* * *

---

(١) مرابع : (المَرْبَعُ) منزل القوم ، تقول : هذه (مَرَابِعُنَا) أى منازلنا .

(٢) ربوعى : (الرَّبْع) الدار بعينها حيث كانت ، وجمعها (رِبَاع) و (رُبُوع) و (أرْبَاع) و (أرْبُعٌ) .

(٣) الكَرى : النعاس . (٤) الأسى : الحزن .

(٥) رثيت : (رَثَيْتُ) الميت إذا بكيته وعددت محاسنه ، وكذا إذا نظمت فيه شعراً ، و (رَثَى) له رق .

(٦) أوصابه : (الوَصَب) بفتح الصاد : المرض . (٧) أنكى : أشد أو أقصى .

إِشَـارَةُ الـدُّرّه (*)

فبينما هو كلما نظر إلى ريشه نظرة ، تذكّر تلك الحضرة ، فتجدد له الحسرة ، وكلما نظر إلى ساقه نظرة صاح وصعّد الزفرة ، إذ رأيت إلى جانبه دُرَّهْ ، قد كُسِيَتْ ثياباً خَضْرَه ، فصاحت بفصاحتها : أيُّها الطاووس ، إلى كم هذا العُبُوس ، والعيش المنكوس (١) ، أنت فى الصورة عروس ، وفى المعنى كظلة الناووس ، أوقعك الرأى المعكوس ، حتى خرجت من منزلك المأنوس ، وإنَّما أُخرجت من مسكنك لجنايتك على السَّاكن ، وتحريكك للأمر القاطن ، فلو فكّرت فى السبب الذى أُخرجت به ، والشخص الذى طردت بسببه ، لاشتغلت بإصلاح شأنك ، عن التنزه فى بستانك ، ويجب عليك كما جنيت على آدم فى تلك الدار ، أن تشتغل هٰهنا بالاعتذار ، وتشاركه فى الاستغفار ، وتعترف بعد الإنكار ، وتزاحمه فى خلوات الأذكار ، لعلك أن تزور معه إذا زار ، فإنه لابدّ له أن يعود ، وتعود إليه أيام السعود ، فإن آدم أُخرِج إلى مزرعة الدنيا ، وقيل له : ازرع اليوم ما هو فى الغد محصود ، فإذا انتهى زرعك ، ونَمَا فرعك ، فعُدْ إلى مقامك المحمود ،

(*) الـدُّرَّه : هى هذا الطائر المعروف بـ (الببغاء) طائر معروف مشهور ، دمث الخلق ، ثاقب الفهم ، يقال : ببغاء ذكر وأنثى ، وجمعه ببغاوات . من الطيور المتسلقة ، يوجد فى بلدان كثيرة ، وهو من أذكى الطيور ، صوته شديد ولكنه يستطيع أن يحاكى ألفاظ الإنسان فيكون بذلك محبوباً مرغوباً فيه ، فى لونه الأخضر والأسود والأحمر والأصفر . يأكل الحبوب والفاكهة ، ويبيض من اثنين إلى أربع بيضات على حسب نوعه . أنواعه كثيرة . قال أبو إسحاق الصابى فى صفة الببغاء :

أنعتُها صَبيحةً مَليحَهْ ... نَاطِقَةً باللُّغَةِ الفَصِيحَهْ
غدَتْ مِنَ الأطيارِ واللّسانُ ... يُوهِمُنى بأنَّها إنسانُ
تُنْهِي إلى صَاحِبِها الأخبَارا ... وتكشِفُ الأسْرَارَ والأسْتارا
سَكَّاءُ إلّا أنَّها سَمِيعَهْ ... تُعيدُ ماتَسْمَعُه طَبيعَهْ

(١) المنكوس : (نَكَسَ) الشىء (فانْتكَسَ) قلبه على رأسه ، و(نكَّسه تنْكِيساً) .

على رغم الحسود . فمن عمل عملك فهو مسعود ، وحذا حذوك فهو موعود بدار الخلود ، ألا تَرَى كيف عَلَتْ همّتى ، وسَمَت عزِيمتى ، فلم أرضَ لنفسى بما رضيته أبناء جنسى ، لأننى نظرت إلى الوجود ، وما فيه موجود ، فرأيت آدم وبنيه من الكلّ مقصود ، خلق الله الكائنات لأجلهم ، وخلقهم من أجله ، فوصلهم بحبله ، وفعل بهم ما هو من أهله ، فلذلك زاحمتهم في كلامهم ، وشاركتهم فى طَعَامِهم ، فأتشبه بهم ، وإنْ لم أكُنْ منهم ، وأُخالطهم ولا أرغب عنهم ، فغلت قيمتى إذ علت عزيمتى ، فأحلُّونى محلّ النديم ، وألَّفَ بينى وبينهم من له الحكم القديم ، فاذكر كما يذكرون ، وأشكر كما يشكرون ، لعلهم عند اللقاء يذكرون ، وإذا ذكرت يشكرون ، فأكون فى الدنيا من خُدامهم ، وفى الجنة تحت أقدامهم ، وفى ذلك أقول :

اخْتَبِرْ حَالِى تَجِدْنِى مِنْ أصحِّ النَّاسِ مَخْبَرْ
أَنَا قَدْ أَحْبَبْتُ قَوْماً شُرِّفُوا مَعْنًى وَمَنْظَرْ
كَبُرُوا قَدْراً وَذِكراً فهُمُ أزْكَى وَأَطْهَرْ
هَكَذَا قَدْ قَالَ حَقًّا سَيدُ الكونِ وَبَشَّرْ
كُلُّ مَنْ يَهْوَى حَبِيباً فَمَعَ المَحْبُوبِ يُحْشَرْ (١)

فلما سام نفسه بهذا السَّوم ، ورأيته قد جلس بمزاحمته فى صدور مجالس القوم ، قلت : ما رأيت كاليوم ، البهائم فى اليقظة ، وأنا فى النوم ، مالى لا أُزاحم على أبواب ذوى المراحم ، لعلّ يوهب مرحوم لراحم ، ويقال : مرحباً بالقادم ، ها قد وهبنا الجناية للنادم .

* * *

---

(١) فيه إشارة إلى قوله ﷺ فى الحديث الشريف : « المرء مع من أحبّ ... » وإلى قوله ﷺ : « من أحب قوماً فهو منهم ، ويوم القيامة يحشر معهم » .

إِشَـارَةُ الـخُفَّـاش (*)

فناداه الخفّاش، وهو فى ارتعاش : إيَّاك والزحام ، فقد حام حول الحمى حام ، وهو من ذوى الأرحام ، فَمَا أذن القسّام إلّا لسام[1] :

فَلَا المنىٰ[2] يُدْرَكُ بسُمر القَنَا[3] وَلَا العُلَى[4] يَعْلُو بِحَدِّ الحُسَامِ

ولكن عليك بأوقات الخلوات ، والقيام فى الليالى المظلمات ، ألم ترانى إذا طلعت الشمس ، دخلت إلى وكرى ، وإذا انبَسَطت النفس ، صفت لى خلوة فكرى ، فأنا فى النهار ، لا أَزور ولا أُزار ، محجوبٌ عن الأبصار ، محبوبٌ إلى ذوى الاستبصار ، فإذا دجى[5] ليلى جردتُ[6] ذَيْلى ، وجعلت الليل معاشى ، وفيه انتعاشى ، لأن فيه يفتح الباب ، ويرفع الحجاب ،

(*) **الخفاش** : طائر لبون غريب الشكل ، ذو أذنين وأسنان ويبول كما تبول ذوات الأربع ، ويرضع ولده ويحيض ، لذلك فهو يختلف عن الطيور فى كل شىء . وله ثلاثة أسماء : الخفاش وهو الأشهر ، والخُشَّاف ، والوطواط . وهو من طيور الليل لا يبصر فى ضوءٍ ولا فى ظلمة ، لذلك يتحرى الوقت الذى لا يكون فيه ظلمة ولا ضوء ، وهو قريب غروب الشمس ، ويتفق أن هذا الوقت الذى يخرج فيه البعوض وأشباهه ووقت انتشاره فى طلب الرزق ، فيتصيده الخفاش ويتغذى به ، وهو شديد الطيران سريع التقلب ، وتلد أُنثاه ما بين ثلاثة إلى سبعة ، ويحمل ولده تحت جناحيه ، وقد ترضعه الأنثى وهى طائرة .

(١) **سام** : (السَّامُ) الموت .

(٢) **المنى** : (الأُمْنِيَّة) واحدة (الأَمَانِى) ويقال فى جمعها : (أمانٍ) و(أمَانِى) بالتخفيف والتشديد ، تقول من الأمنية : (تَمَنَّى) الشىء و(مَنَّى) غيره (تَمنيةً) .

(٣) **القَنَا** : جمع (قَنَاة) وهى الرمح ، ويجمع أيضاً على (قَنوات) .

(٤) **العُلَى** : (العَلْيَاء) كل مكان مشرف ، و(العَلَاء) و(العُلَا) الرفعة والشرف ، وكذا (المَعْلَاة) ، والجمع (المَعَالِى) .

(٥) **دجى** : (الدُّجَى) الظلمة . وقد (دَجَا) الليل ، وليلة (داجيةٌ) ، وكذا (أَدْجَى) الليل و(تَدَجَّى) .

(٦) **جردت** : (تَجَرّد) للأمر : أى جدَّ فيه .

ويخلو الحبيب بالأحباب [١]، وتغفل أعين الرقباء ، وتتيقظ أشجان المحبين ، وأحزان الغرباء ، ثم لا تصادف إلّا العشاق وذوى الأشواق ، ومن هو لكاس المحبة قد ذاق ، فيفتح الحبيب بابَه ويرفع حجابَه ، وينادى أحبابَه ، فتُرفَع الرسائل بالدمع السائل ، وتُجَاب المسائل بألطف الوسائل ، ويقال : يا جبريل أقِم فلاناً وأنِم فلاناً ، وقل لمن كتم حبّى يصرّح بالإعلان ، وقل لمن هو ظمآن ، هذا الكأس ملآن ، وقل لمن هو فى حبنا ولهان إن الوصل قد آن ، وفى ذلك أقول :

يَا قَلْبُ لَا يُـؤْذِى بِـكَ الخَفَقَـانُ ... رَاضِى الحَبِيبَ وَوَاصِـلْ الغَضْبَانَ
وَصَفَتْ أُوَيْقَـاتُ السُّرُورِ بِوَصْلِهِ ... فَعَلَيْـكَ فِى حُكْمِ الهَـوَى سلوانُ
لَا تَكْحَلَنَّ بِغَـيْرِ نُـورِ جمَـالِنَـا ... إِنْسَـان عَلَيْـكَ أَيُّهَـا الإِنْسَـانُ
اليَـوْمَ يَنْسَـخُ بَيْنَنَـا مِنْ بَيْنِنَـا ... لا صـدّ يُخْشى لا وَلَا هُجْـرانُ
لَا يُبْعِـدَنَّكَ عَتْبُنَـا عَـنْ بَابِنَــا ... فَالعَهْـدُ باقٍ وَالـوِدَادُ مُصَـانُ
فَبِحُبِّنَـا وَبِلُطْفِنَـا وَبِوَصْـفِنَا ... شَاعَ الحَدِيثُ وَسَارَت الرُّكْبَانُ
فَلَرُبَّمَـا يَكْبُو [٢] الجَـوَادُ وَرُبَّمَـا ... يَنْبُـو الزِّنَادُ وَتَعْـثُرُ الفُرسَـانُ
فَاخْضَـعْ وذلّ لِمَـنْ تُحبَّ فَإِنَّـهُ ... حُكْمُ الهَوَى أَنْ تَخْضَعَ الشُّجْعَانُ
وَإِذَ ذلَلْت لعـزّنَا ذَلَّتْ لعـزِّ ... تِلكَ المُـلُوكُ وَهَـابَكَ السُّلْطَانُ
يَا أَيُّهَـا العُشَّـاقُ دُونَكُم السِّـبا ... قُ فَهَـذِهِ الشُّـقْرَاءُ والمَيْـدَانُ

فقلت له : أيها الطائر الضعيف مالى أراك تخالف من سواك ، إذا طلعت الشمس وقعت فى الغَشَا ، فلا تزال كذلك إلى العِشَا [٣] ، فتعمى بما يستضىء به الناس ، وهذا خلاف القياس .

فقال : يا آدمىّ التكوين ، ذلك لأنى فى مقام التلوين [٤]، وما بلغت

---

(١) فيه إشارة إلى اجتهاد المجتهدين وما يفعلون فى اجتهادهم وعبادتهم بالليل ، والناس نيام .

(٢) يكبو : (كَبَا) لوجهه سقط فهو (كابٍ) .

(٣) الغَشَا : سوء البصر نهاراً . والعِشَاء : أوّل الليل .

(٤) التلوين : هو مقام الطلب والفحص عن طريق الاستقامة .

إلى مقام التمكين[1] ، لأن المتلوّن الخائف ، يدهش عند تشعشع أنوار المعارف ، والمتمكن العارف ، من يثبت عند شهود أسرار اللطائف ، وإنما عدم تمكني في تلويني ، لأني مخلوق ناقص الحقوق ، بالنهار أستر نقصي باستتاري ، وبالليل أُناجي الحبيب بانكساري ، فيجود بغناه على فقري ، وبفضله على احتقاري ، فأول ما جبر به كسري ، ورحم به فقري ، أن جعل اللّيل خلوتي ، ومع أحبابه حضرتي ، وإليه لا إلى سواه نظرتي ، فإذا انقضت خلوة الليل أغمضت عيني بالنهار ، كي لا أنظر إلى الأغيار ، وحقّ لمن سهر الليل أن ينام بالنهار ، وقبيح على عين تمتّعت برؤياه ، أن تنظر إلى ما سواه ، وفي ذلك أقول :

أَيَجْمُلُ أَنْ تَهْوَى هَوَاهُ وَتَدّعى سِوَاه وَمَا فِي الكَوْنِ يُعْشَقُ إلّا هُو
قَبِيحٌ عَلَى قَلْبٍ يَذُوبُ صَبَابَةً بِحُبٍّ لَهُ في الكَوْنِ مَثلٌ وَأَشْباهُ
إِذَا كَانَ مَنْ تَهْواهُ فى الحُسْنِ وَاحِداً فَكُنْ وَاحداً فِي العِشْقِ إنْ كُنْتَ تَهْوَاهُ

فقلت : تالله لقد فاز أهل الخلوات ، وامتاز أهل الصلوات ، ومنع من الجواز أَهْلُ الغفلات ، فافهم الإشارات .

* * *

(١) التمكين : هو مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة .

إِشَـارَةُ الـدِّيك (*)

فقال الديك : ها أنا فى ناديك أُناديك ، وأنت فى تَعَاميك وتغاشيك (١) ، جعلتُ الأذانَ لى وظيفة ، أوقظ به من هو نائم كالجيفة (٢) ، وأُبشِّر الذين يدعون ربّهم تضرّعاً وخِيفة ، وفىَّ إشارةٌ لطيفة ، ومَعَانٍ ظريفة ، أُصفّق بجناحىّ بُشرىٰ للقائم ، وأُعلن بصياحى تنبيهاً للنائم ، فتصفيق الجناح ، بشرىٰ بالنجاح ، وترداد الصياح ، دُعاءً للفلاح ، ولئن كان الخفّاش جعل له فى الليل وظيفة ، فإنه فى النهار نائم كالجيفة ، مستتر عن أعينُ الناس خِيفة ، فأنا الذى لا أُخلّ بوظيفتى ليلًا ولا نهاراً ، ولا أغفلُ عن وردى سرًّا ولا جهاراً ، قسّمت وظائف الطاعات ، على جميع السّاعات ، فما تمرّ بى ساعة ، إلَّا ولى فيها وظيفة طاعة ، فَبِى تُعْرَف المواقيت ، فأنا غالى القيمة ، ولو شربتُ

(*) **الديك** : هو ذكر الدجاج ، جمعه ديوك وديكة ، وتصغيره دُوَيك . أكثر الطيور شهرة وعجباً لنفسه ، يبشر بطلوع الفجر . ومن عجائبه أنه يعرف أوقات الليل ، فيقسط أصواته عليها تقسيطاً لا يكاد يغادر منه شيئاً سواء طال أو قصر ، ويوالى صياحه قبل الفجر وبعده حتى أفتى بعض القضاة على ما ذكره العلامة الدميرى صاحب حياة الحيوان بجواز اعتماد الديك المجرب فى أوقات الصلاة . وقد أجاد الشاعر فى وصفه فقال :

مُغَـرِّدُ اللَّيـلِ مَا يَأْلُوكَ تَغْرِيداً ... مل الكَرَى فَهُو يَدْعُو الصُّبْحَ مَجْهُوداً

لما تَطْرَبُ هَـذَا لَعَطْفُ مِنْ طَـرَبٍ ... وَمُدّ للصَّـوْتِ لِمَـا مَدَّهُ الجيـدا

كَلَابِسٍ مطـرفاً مرح ذَوَائِبُـه ... تُضَـاحِكُ البيضَ مِنْ أَطْرَافِهِ السُّـودا

حَالى المُقَـلّد لو قِيست قَلَائِدُهُ ... بالوَرْدِ قَصَـر عَنْهَـا الوَرْدُ تَوْرِيـدا

ومن أوصاف الديك ذى الرعثات . قال الشاعر :

مِـمَّـا يُؤرِقُنِى لَيْـلًا وَيُسْـهِرُنِى ... مِنْ صَوْتِ ذِى رَعْثاتٍ سَاكِنِ الدَّارِ

(١) **تغاشيك** : (الغِشَاءُ) الغطاء ، وجعل على بصره (غُشْوَه) بفتح العين وكسرها وضمها ، و (غِشَاوَةٌ) بالكسر ، أى غطاء . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[سورة يسٓ آية ٩] .

(٢) **الجيفة** : جثة الميت ، والجمع (جِيف) ثم (أجياف) .

باليواقيت ، فهذا حالى مع قيامى فى عيالى ، وإشفاقى على أطفالى ، فأنا بين الدجاج ، أقنع بالماء الأجاج [1] ، فلا أختصّ عنهم بحبّه ، ولا أتجرع من الماء دونهم بشربه ، وهذه حقيقة المحبّة ، إن رأيت حبَّة دعوتهم إليها ، ودَلَلتهم عليها ، فمن شأنى الإيثار ، إذا حصل اليسار ، ثم إنى طوعاً لأهل الدار ، أصبر لهم على سُوءِ الجوار ، يذبّحون أفراخى ، وأنا لهم كالخِلّ المواخى [2] ، وينتهبون أتباعى ، وأنَا فى نفعهم ساعى ، فهذه سجيّة أوصافى ، والله لعبده كافى .

فقلت له : أيُّها الديك إلى كم تعظ ، ولا تتعظ ، وتنصح من هو عن الصواب معترض ، وتجمع من ملازمتك الأذكار ، ومنادمتك فى ظلم الأسحار ؟ فقال : يا قوم إذا حسن الوعظ انتفع به الكل أو البعض ، فالعقول عارفة بما أقول ، فقد أفلح من وعَى ، واجتهد فى الإخلاص وَسَعى ، ومن أعماه الجهل ، فقد توعد مسلكه السهل ، وفى ذلك أقول :

بِذِكْرِ اللّـهِ يَدْفَعُ كلَّ خَـوْفٍ   وَيَدْنُوا الـخَـيْرُ مِمَّنْ يَرْتَجِيـهِ
وَلَكِن أينَ مَنْ يَصْغَى وَيَدْرِى   حَقِيقَـةَ ماأَقُولُ وَمَنْ يَعيـهِ

فقلت له : أيُّها الديك مالى أراك تغتر إذا شبعت، كما تغتر إذا مُنِعتَ ؟

فقـال : الحرص أغلب ، وهو لأجل القلوب أجلب ، وقد آن وُجُود الحبّ ، بمشيئة الربّ ، فعليك بحسن الطلب لبلوغ الأرَبْ [3] ، فربما قل رزقك ، إذا كَثُرَ حذقك .

قلت : فليهنك الخلاص من المرضى ، فَلِمَ بُليت منهم بهذه البغضى ، وأنت صغير السنّ ، جدير بالرحمة من الإنس والجن ؟

---

(١) **أجاجه** : ماء (أُجاجٌ) أى مِلْحٌ مُرٌ . وقد (أجَّ) الماء يَؤُجُّ (أُجوجاً) بالضم .
(٢) **المواخى** : (آخاهُ مُؤَاخاةً) وإِخَاءً ، والعامة تقول : وَاخاه ، و (تآخَيَا) على تفاعلا .
(٣) **الأرب** : الحاجة .

قال : ولع الطبيب بهذه الأسماء ، فسجرت [1] الشفار [2] لإراقة الدماء ، فمن حان أجله ، عَظُمَ وَجَله ، والحِمام [3] أجلٌ معلوم ، وما أحدٌ من منيتهِ بمعصوم ، وفى ذلك أقول :

إِذَا مَا الدِّيكُ صَفَّقَ بالجَنَاحِ　　فَمَا فى شُرْبِ كَأْسِكَ من جُنَاح
فَبَادِرْ باصْطِبَاحِكَ يَا نَدِيمِى　　فَقَدْ طَابَ الصَّبُوحُ لدى الصَّباح
وَقَدْ رَكَعْتَ أَبَارِيقُ النَّداما　　وَنَادَى الدِّيكُ حىَّ على الفَلَاح

وفى ذلك أقول أيضاً :

تَوَكَّلْ عَلَى الرَّحمن فى سَائِرِ الأَمْرِ　　وَبَادِرْ إلى الطَّاعَاتِ فى السّرِّ وَالجَهْرِ
وَارْعَ حُقُوقَ الجَار إِنْ كُنْتَ مُخْلِصاً　　وَإِنْ جارَ فَاصْفَحْ ما اسْتَطَعْتَ عَنِ الجَوْرِ
فَإِنَّ إِلَهَ العبدِ كافٍ لعبْدهِ　　وَيَكْفِيكَ كَافٍ للأُمُور ولَا تَدْرِى

* * *

(١) **فسجرت** : (سَجَر) التنور : أحماه ، و(سَجَر) النهر : ملاه .
(٢) **أشفار** : حرف كل شىء (شفره) و(شفيره) .
(٣) **الحِمَام** : بالكسر قدر الموت .

إشَـارَةُ البَــطّ (*)

فناداه البطّ ، وهو فى الماء ينغطّ (1) ، يا من بدنىء همته ينحطّ ، لا أنت مع الطير فى الجو ترقى ، ولا أنت مع الحيوانات تبقى ، فأنت كالمنبَتّ لا أرضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى (2) ، سقوط نفسك ألقاك على المزابل ، ووقوفك مع الطَّلّ حجبك عن الوَابِل ، وما ربَح فى المتاجر من لم يقطع المراحل ، ولا ظفر بالجواهر من هو قائم على الساحل ، فلو ثَبَتَ تمكينُك ، وقوى يقينُك ، لطرتَ فى الهواءِ ، ولمشيت على الماءِ ، ألم تَرنى كيف ملكت هوى ، فملكت عَالَمى الماء والهواءِ ، فأنا فى البرّ سائح ، وفى البحر سابح ، وفى الهواءِ سارح ، وقد جعلت البحر مركب عزّى ، ومعدن كنزى ،

(*) البــط : طائر الماء . وهو نوعان : وحشي وداجن ، فالوحشى يبلغ طوله (٣٠) سنتيمتراً ، وعندما يحين وقت البيض ترى فى كل خطوة عشًا فى الجهات التى يكثر فيها . يطير قرب الشتاء طيراناً عالياً قويًا على هيئة مثلث ذاهباً إلى البلاد الأقل برودة ليأوى إليها . الواحدة منه تبيض من (٨) إلى (١٤) بيضة ، وتحتضنها (٣٠) يوماً ، وصغارها يعومون فى الماء ساعة ولادتهم .

أما الداجن فأكبر من الوحشى ، يتخذه الناس فى البيوت ولا يستطيعون إحسان تربيته إلا إذا توفرت له المياه لأنه روحه .

قال الشاعر على النيفر :

الْبَـطُّ صِـنْوُ الـدَّجَـاجِ ... مِـن مُـدْيَـةٍ غَـيْرُ نَـاجِ
وَهَبْـهُ فى طِيـبِ لَحْـمٍ ... لَـمْ يَحْـكِـهِ أَوْ نِتَـاجِ
مُـدَى الْـوَرَى عَـامِـلاتٌ ... فى الطَّـيْرِ أوْ فى النِّعَاجِ
وإن أَعْـجَـبَ شَـىْءٍ ... يُـرِيـكَ غَـيْـرَ مُـدَاجِ
آن يَطْـرَحَ البَيْـضَ أَرْضـاً ... دُونَ اعْـتِنَـا وَابْـتِـهَـاجِ
وَيَحْضُـنَ البَيْـضَ عَنْـهُ ... أُنْثَـى الـدَّجَـاج فَحَـاجِ
وَمَـا بِـهِ مِـنْ فِـرَاخٍ ... بَـدَا بِـحَـالِ احـتـيـاجِ
تِـلْكَ الـدَّجَـاجَـةُ تُـؤْوِى ... مِـن هَـذِهِ كُـلَّ لاَجِ
وَأُمُّ ذَا الـفَـرْخِ تَـلْـهُـو ... عَـنْ رَعْـيِ هَـذَا النِّتَـاجِ
بالسَّـبْـحِ فى المَـاءِ وَالسَّـيْـ ... ـرِ فى الفَـلاَ والفِـجَـاجِ

(1) ينغط : (غَطّه) فى الماء غوَّصَه فيه ، و(انْغَطّ) هو فى الماء . والمعنى : انغمس .

(2) فيه إشارة إلى الحديث : « إن المُنْبَتَّ لا أَرْضاً قَطَعَ ولا ظَهْراً أَبْقَى » .

فَأَغُوصُ فى صفاءِ تلاليه ، وأحتلِي من جواهره وَلآلِيهِ ، ثم أطَّلِعُ فيه على حِكَمِهِ وَمَعَانِيهِ ، ولا يعرف ذلك إلَّا من يُعانِيهِ ، فمن وقف على ساحله ، لم يظفر إلَّا بزَبده (١) ، وأُجاجه ، ومن لم يحذر من دَوَاخِلهُ ، غَرِقَ فى لجه (٢) بلَجاجه ، فالسعيد من ركب فى قارب قرباته ، ورفع قلوع تضرُّعَاته ، متعرضاً لنفحات نسماته ، مآدًّا بنان راحاته ، ثم قطع كثائف ظلماته ، ووصل مجمع البحرين بصفاته ، وذاته ، فهنالك يقع على عين حياته ، ويَرِدُ من عَذْبِهِ وفُراته (٣) ، وفى ذلك أقول :

يا طَالِباً لِلْمَعَالِي مَهْرَ المَعَالِي غَالِي
مَا اسْتَعْذَبَ الموتَ إلَّا مَنْ ذَاقَ ذَوْقَ الرِّجَالِ
حَمَاه دُونَ وِصَالٍ حِماه حدُّ النّصالِ (٤)
كَذَا القُصُور العَوَالى حُفّتْ بسُمْر العَوَالى
كالشُّهْدِ دُونَ جِنَاهُ لَذْعٌ كَحَدِّ النِّبَالِ
قَدْ طَافَ حَوْلَ حِمَاهُ ذَوْوا الجُدُودِ العَوَالى
وَصَابَرُوا فى هَوَاهُ عَلَيْهِ مُرُّ النِّكَالِ
صَامُوا وبالذِّكْرِ قَامُوا فِى مُظْلِمَاتِ اللَّيالى
فالرُّوح بالشَّوْقِ تَفْنَىٰ والجِسْمُ بالسّقْمِ بَالى
قَدْ صَادَفَ الحبّ مِنْهُمْ لَهُمْ قُلُوباً خَوَالى
إنْ كُنْتَ مِنَّا فَافْهَمْ مَا فِيهِ سرٌّ مَقَالِى
أَوْ كُنْتَ بَطَّالاً فَاتْرُكْ مَنَازِلَ الأَبْطَالِ

* * *

---

(١) زبده : بحر (مُزْبِدٌ) أى مائجٌ يقذف بالزبد .

(٢) لجه : (لُجّة) الماء بالضم معظمه ، وكذا (اللُّجّ) ، ومنه بحرٌ (لُجِىٌ) و (لَجَّجَتِ) السفينة (تَلْجيجاً) خاضت اللجة . و (اللجاج) التمادى فى العناد إلى الفعل المزجور عنه .

(٣) فراته : (الفرات) الماء العذب . يقال : ماءٌ فراتٌ ومياه فراتٌ . والفرات نهر الكوفة . و (الفُراتان) الفراتُ ودجيلٌ . قال الأزهرى : دجيلٌ نهر صغير يتخلّج من دجلة .

(٤) النصال : (النّصل) نصل السهم والسيف والسكين والرمح ، والجمع (نُصُولٌ) ، و (نِصالٌ) .

إِشَـارَةُ النَّحْـلَة (*)

فنادته نَحْلة ، يا لها من نَحْلَة [1] ، ما صح فى روايتها رِحْلَة ، السَّعِيد من ظهر مَعْنَاهُ قبل دَعْوَاه ، وعُلِمَ صَفَاءُ سِرِّهِ من نَجْوَاهُ ، ومن مَحَا حقيقة دعواه ثبتت حقيقة معناه ، فلا تقل قولًا يبطله فعلك ، ولا تُربى فرعاً ينقصه أصلُك ، واعلم أنه بِصَفاءِ المشارب يصفو الشارب ، وبطيب المطاعم يطيب الطاعم ، ألا ترانى لما طاب مطعمى ، وصفا مشربى ، كيف رُفعت رتبتى ،

(*) **النحلة** : تقع على الذكر والأنثى ، ويطلق عليه البعض ذباب العسل . وهو نوع من الزنابير ، جسمه زغبى ، يوجد فى كل جهة من أقطار الأرض . يربى للحصول على عمله الذى يجنيه من الأزهار ويدخره لنفسه ولصغاره وهو العسل . وللنحل فى حياته نظام عجيب جدًّا ، فهو يعيش مجتمعاً كالإنسان ، وله نظام يحير الألباب وقانون يسير عليه فى جميع أموره ، وهو يُكون ممالك كل مملكة أو خلية تتكون من ثلاثة أصناف : صنف يقال له : العملة ، وصنف ثان يقال له : الذكور ، وصنف ثالث من الإناث أو الملكات لأنها هى صاحبة السيادة على جميع المملكة .

وقد قال الشاعر حسن البحيرى قصيدة جميلة عن النحل ، رأيت أن أقتبس منها عدة أبيات من غير ترتيب ، قال :

فَرَأَيْتُ النَّحْـلَ فى أَرْجَـائِهَـا ... بَيْنَ رَقْصٍ وَارْتِشَاقٍ وَانْتِشَاءْ
تَتَهَـادَى فَوقَ أَزْهَـارِ الرُّبَى ... تَجْتَنى مِنْ كُلِّ ثَغْرٍ ما تَشَـاءْ
سَلَكَتْ لِلكَسْبِ سُبْلًا ذُلُلًا ... ثُمَّ آبَتْ بَعْـدَ جِـدٍّ وعَنَـاءْ
بِغُبَـارِ الطَّـلْعِ من أَكْمَامِـهِ ... أو رَحِيـقِ الزَّهْـرِ أو شَمْعِ الضِّيَاءْ
أو رُضَـابِ اليَنْعِ مَعْسُولَ اللَّمَى ... أو لُعَابِ الشَّهْدِ أو عَذْبِ الدَّوَاءْ
ثم مَجَّتْـهُ شَـرَاباً سَـائِغاً ... فِيـهِ لِلنَّـاسِ شِـفَاءٌ وَدَوَاءْ
يَـا لَهَـا مِـنْ آيَـةٍ صَـامِتَـةٍ ... صَمْتُهَـا يُعْي بَيَـانَ البُلَغَـاءْ
رَبِّ قَدْ أَحْكَمتَ خَلْقاً بَاهِـراً ... لَمْ يَزَلْ يَتْلو بِتَمْجِيـدِ الدُّعَـاءْ
سُـوَرَ الحَمْـدِ وآيَاتِ الثَّنَـا ... مُرْسِـلًا تَسْبِيحَهُ صُبْحَ مَسَـاءْ
قَـائِلًا للتَّـائِهِ الفِـكرِ وِلِلـ ... مُغْمِضِ العَيْنَيْنِ عن فَيْضِ السَّنَاءْ
كُلُّ مَا فِى الأَرْضِ آيَاتُ هُـدًى ... فَسَّرَتْ إِعْجَازَ آيَاتِ السَّمَاءْ

[1] نِحْلة : عطية ، يقال : (نَحَل) المرأة مهرها يَنْحَلُها (نِحْلة) بالكسر أعطاها عن طيب نفس من غير مطالبة ، وقيل : من غير آن يأخذ عِوَضاً .

وعلا منصبى ، وكمل أدبى ، وإلا فمن أنا حتى يوحى إلىّ ، وينصّ فى الذكر الحكيم علىّ ، فقال من له الحكم وإليه ترجعون : ﴿ **وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ** ﴾ (١) ، ولولا أنّى أكلت الحلال ، ولزمت أشرف الخَلال (٢) ، حتى صرت كالخِلال ، أسلك سُبُل ربى ذُلُلًا ، وأشكر من نعمه فصولًا وَجُمَلًا ، أتبع المُباح الذى ليس على آكله جُناح ، فأجعل فى الجبال بيوتى ، ومن مُبَاح الأشجار قوتى ، أصنع لى بُيُوتاً يعجز كل صَانِع عن تأسيسها ، ويتحيّر أقليدس الحكيم (٣) فى حلّ شكلها وتسديسها ، ثم أسقط على الزهر والثمر ، فلا أكلُم (٤) ثمرة ، ولا أهشم زهرة ، بل أتناول منها شيئاً على هيئة الطلّ فأتغذى به قانعة وإن قلّ ، ثم أعود إلى عُشّى ، فاشتغل فى وكرى ، بفكرى ، وأُخلص لمولاى فى ذكرى ، فلا أَفْتُر عن الذكر ، ولا أغفل عن الشكر ، عُلّمْتُ بإلهام الوحى لى ، وعملت بالتوفيق الأزلى ، فأورثنى علمى وعملى ، شمعى وعسلى ، فالشمع ثمرة العلم ، والعسل ثمرة العمل ، فالشمع للضياءِ ، والعسل للشفاءِ ، فإذا قصدنى قاصدٌ يستضىء بضيائى ، أو يستشفى بشفائى ، فلا أُذيقهُ حَلَاوة نفعى ، حتى أُجَرّعهُ مرارة لَسْعى ، ولا أُنيله شهدى ، إلّا بعد مكابدة جهدى ، فإذا اقتنصه منى قهراً أُحَامى عنه بروحى جهراً ، وأقول : يا روحُ روحى ، ثم أقول لمن جَنَانى واستخرج مَا فى جِنَانى : أنت يا جانى علىّ جانى ، فإن كنت للمعانى تُعانى فقد رمزت لك فى خِصَالى ، إنك

---

(١) سورة النحل : الآية (٦٨) .

(٢) **الخَلال** : جمع (خَلّة) بالفتح الخصلة . **والخِلَال** : العود الدقيق الذى يُتخلل به .

(٣) **أقليدس** : من أشهر رياضيى اليونان ، وجد قبل المسيح بعدة قرون . ترجم عنه العرب كتباً رياضية غاية فى النفع . نقل كتابه فى الرياضة حنين بن إسحاق ، فجاء العلامة ثابت بن قرة حوالى سنة (٢١١ هـ) فنقحه وهذبه وسهل مصاعبه .

(٤) **أكلم** : (الكَلْم) الجرح ، والجمع (كُلُوم) و (كِلَام) . وقد (كَلَمه) أى جرحه ، ومنه (التَّكْليم) التجريح .

لا تصل إلى وِصَالى ، حتى تصبر على حدِّ نصالى ، وفى ذلك أقول :

اصْبِرْ عَلَى مُرّ لَسْعِى ... إنْ رُمْتَ مِنِّى وِصَالَا
وَاتْرُكْ لأجلِ هَوَايا ... من صَدَّ جَهْلًا وَصَالَا
ومُتْ إذا شِئْتَ تَحْيا ... وَاسْتَعْجِلِ الآجَالَا
فمسلك الحُبِّ صَعْبٌ ... يُقَطِّعُ الأَوْصَالَا
عَذَابُهُ المرّ عَذْبٌ ... يُخَفِّفُ الأَثْقَالَا
إنْ كُنْتَ مَعْنًى تمعّنَى ... فَقَدْ ضَرَبْتَ مِثَالَا
وإنْ فَهِمْتَ رُمُوزِى ... أَقْدِمْ وإلّا فَلَا لَا

وفى ذلك أقول أيضاً :

احْرص على كُلِّ عِلْمٍ تَبْلغ الأملا ... ولَا تَعِيشُ بِعِلْمٍ واحدٍ كَسَلَا
فالنَّحْلُ لما جَنَى مِنْ كُلِّ فاكِهَةٍ ... أبَدا لنا منهُ صنفَى الشَّمْعَ والعَسَلَا

* * *

إِشَارَةُ الشَّمع (*)

فلما فرغ النحل من مقالته ، وما رمز فى إشارته ، سمع استغاثة شمعه ، فأصاغ إليه بسمعه ، فإذا هو يحترق بالنار ، ويبكى بدموع غِزار ، ويقول : أيتها النحلة ، أما يكفينى أن رُميت ببينى ، وفرّق الدهر بينك وبينى ، فأنتِ فى الوجود أبى ، وفى الإيجاد سببى ، فأفردت عنك أنا والعسل وهو أخى وشقيقى ، وصاحبى ورفيقى ، فبينما نحن مجتمعون ، إذ فرقتنا يَدُ النار ، ورمينا ببُعْدِ الدَّار ، وشطّ (1) المزار ، فأفردت عنه ، وأفرد عنّى ، وبنت (2)

(*) الشمع العسلى ، وسمى الشهد ، مادة ينتجها النحل ويبنى بها طبقات خليته وفى نخاريبه يضع العسل ويربّى أولاده . وكان هذا الشمع يستعمل قديماً للاستصباح .

(1) **شط** : (شَطت) الدار (تشُطُ) بضم الشين وكسرها (شطًّا) و (شُطُوطاً) أى بعدت .

(2) **بنت** : (البَيْن) الفراق .

عنه ، وبان عنى ، ثم سلّط عليَّ النار ، ولم أكن من أهل الأوزار [١] ، فكبدى يَحترق ، وجسدى يمترق ، فأهل المحبة يقاسون باحتراقى ، وأهل المعرفة يَسْتَضِيئُون بإِشراقى ، ففى إشراق وإحراق ، ودمعى مُهْرَاق [٢] ، قائمة فى الخدمة على ساق ، أحرق نفسى ، وأَشْرِق على غيرى ، فأنا المعذب بشررى ، وغيرى مستمتع بخيرى ، فكيف أُلَآمُ على اصفرارى ، ودموعى الجوارى ، ثم يقصدنى الأَوْبَاش [٣] من الفَراش ، يريدون إطفائى ، وإذهاب ضيائى ، فأحرقه مكافأةً لفعله ، ولا يحيق المكر السيّئ إلَّا بأهْله [٤] ، فلو ملئت الأرض فراشاً لكنت منهم فى أمان ، كما لو ملئت الأرض أوباشاً لما قدروا أن يطفئوا نور الإيمان ، ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ** ... ﴾ [٥] ، وفى ذلك أقول :

حَالَتِى يَا نُورَ عَيْنِى مِنْكَ نورٌ أىُّ نُورِ
فَهُدَايا وَضِيَائِى مِنْكَ يا كلَّ السُّرُورِ
لم يُطِقْ كلّ عَذُول مِنْكَ يرمينى بِزُورِ
وَكَذَا كُلّ هواءٍ لم يُطِقْ إطفاءَ نُورِى

* * *

---

(١) **الأوزار** : (الوِزْرُ) الإثم والثقل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ﴾ [الأنعام : ١٦٤] أى لا تأثم آثمة بإثم أخرى .

(٢) **مهراق** : (هَرَاق) الماءَ (يُهَرِيقُه) بفتح الهاء (هِرَاقَه) بالكسر صبه ، وأصله أراق يُريق إراقة .

(٣) **الأَوْبَاش** : من الناس والفراش وأى شيء الأخلاط ،

(٤) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة فاطر ، الآية (٤٣) .

(٥) سورة التوبة : الآية (٣٢) .

إِشَـارَةُ الفَـرَاش [*]

فاستغاث الفَراش ، وهو ملقى على الفِراش ، يتلهب فى تَلاشيه ، ويتقلّب فى تغاشيه ، ويقول : يا لله العجب ! أبذل نفسى فى هواك ، وتسومنى سوم أعداك ، فياليت شعرى مَنْ بقتلى أفتاك ، ومَن بهتكى [1] أغراك ، أين لك مثلى عاشق صادق ، وصديق موافق ، صبرت على أذاك وإحراقك ، وقدمت على الموت دون عُشّاقك ، فهل رأيت محبًّا يعذّبه حبيبه ، وعليلًا أسقمه [2] طبيبه ، أحبّك فتعذبنى ، وأقرب منك فتحرقنى ، وتدنينى شدة شوقى إليك ، فأهجم بإدلالى عليك ، أطلب منك الوصول فتصول علىّ ، فتحرقنى وتمزقنى ، فما أصاب أحد مُصَابى ، ولا عُذب أحد عذابى ، ولست لغيرك صَابى ، وكان يكفينى ما بى ، لو سلمت من توبيخى وعتابى ، وفى ذلك أقول :

جِئْتُ أَشْكُو إلى حَبِيبِى مَا بِى ... فَرَمَانِى مِنه بِسَوطِ عَذابِ

(*) **الفراشة** : حيوان ذو جناحين يطير ويتهافت على السراج فيحترق ، جمعها فراش . ومما ورد عنه فى الأمثال : أخف من فراشة ، أطيش من فراشه .

قال مهلهل بن يموت :

خَلَتْ مَحاسِنُه عَنْ كلِّ تَشْبِيهِ ... وجَلَّ عَنْ واصفٍ فى الحُسْنِ يَحكِيه

انْظُرْ إلى حُسْنِهِ واشْتَغِنِ عن صِفَتى ... سُبْحانَ خَالقه سُبْحانَ بارِيهِ

النَّرجسُ الغَضُّ والوَرْدُ الجَنّى لَه ... والأقحوانُ النَّضِير الغَضُّ فى فِيهِ

دَعا بألْحاظِهِ قَلْبى إلى عَطَبى ... فَجَاءَهُ مَسْرِعاً طَوْعاً يُلَبِّيهِ

مِثلَ الفَراشَةِ تَأتى إذْ تَرَى لَهَباً ... إلى السِّرَاجِ فَتُلْقى نَفْسَها فِيهِ

(1) **بهتكى** : (الهَتْكُ) خرق الستر عما وراءه . وقد (هَتَكه فانهتَك) ، و (هَتَّك) الأستار شدد للكثرة ، والاسم (الهُتْكة) بالضم ، و (تَهَتَّك) أى افتضح .

(2) **أسقمه** : (السَّقَام) المرض ، وكذا (السُّقْم) و (السَّقَم) ، وقد (سَقِم) فهو (سَقِيم) و (المِسْقام) الكثير السقم .

كفراشٍ قد جَـاءَ يَطْلُبُ وَصْـلًا فَـرَمَـاهُ حَبِيبُــه بِشِــهَابِ
هُـو مُلقًى لَـدِيّ الحَبِيبُ حَرِيقـاً وَغَـرِيقـاً فى لُجَّـة واكتئابِ
فى حِسَـابِى أَنِّى وَصَلْتُ وَلَكِن سَطْوة الهَجْر لَمْ تَكُنْ فى حِسَابِى
ذُبْ غَرامـاً وحُـرْقَةً وَاشْـتِياقاً هَكَذَا شَـرْطُ سُـنَّة الأَحْبَـابِ

* * *

إِشَـارَةُ الفَـراش مع الشَّـمع

فلمّا ذكر الفَراش مُصابه ، وشكى أوصابه[1] رقّ له الشمع مِمَّا أصابه ، وقال له : أيها العاشق الصّادق لا تعجل عليَّ فإنى لك مُوافق ، وأنا مصاب بمصابك ، معذّب بعذابك ، فاسمع قصّةً من أعجب القِصص ، وارحم غصّة من أعظم الغصص[2] ، ليس بعجب من محبّ يحترق ، وإنما العجب من محبوب يحترق ، هذه النار تحبنى وتطلب قربى ، وهى بأنفاسها تحرقنى وتذيبنى ، هى تدّعى هـواى ، وتستدعى لِقاىَ ، فإذا نَزَلت بِفِنَائى فلا بقاء لها إلّا بِفَنَائى ، وهذا لعمرى أعجب الأشياء ، أن حبيباً يفنىٰ ومحبًّا يبقىٰ ، ومعشوقاً يسْعَد ، وعاشقاً يشقىٰ .

* * *

(١) أوصـابه : (الوَصَب) بفتح الصاد : المرض .
(٢) الغصص : (الغُصَّة) الشجى ، والجمع (غُصَصٌ) ، والشجى : الهم والحزن .

إِشَـارَةُ النَّـار

فنادت النار : أيها المعذّب بإحراقى ، والداهش بنور إشراقى ، إن كان دخان احتراقك إلىّ راق[1] ، فأنا نازل إليك فى السَّحَر رَاقى[2] ، تشكو ممّا تلاقى ، وتفوز بساعة التلاقى ، فيا فوز من شرب بكاسى وأنا الساقى ، ويا سعادة من فنىٰ فىّ وأنا الباقى ، وفى ذلك أقول :

وَلَقَدْ أَقُولُ لِشَمْعَةٍ نَادَمْتُها ... وَسُدولُ[3] جُنْحِ اللَّيلِ زَادَ جُمُوح[4]
أَنَا مَنْ يَحِنُّ إِلَى الأَحِبَّةِ قَلْبُهُ ... وَإِلَى البُكَاءِ بِدَمْعِهِ المَسْفُوحِ[5]
قَالَتْ : عَجّلْتَ عليَّ فيما قُلتَهُ ... فَاسْمَعْ بيانَ حَدِيثى المَشْرُوحِ
إِنْ كَانَ أَذْهَلَكَ الزَّمَان بِخَطْبِهِ ... فَلَقَدْ فَقَدت أَنَا شَقِيقَةَ رُوحِى
أُفْرِدتُ عن خِلٍّ شهىّ وَصْلُهُ ... حُلْو اللَّمَى[6] عَذْبُ المَذَاقِ صَرِيحِ
قَدْ سُلَّ مِنْ جَسَدى وَكَانَ شَقِيقَهُ ... فَرَجَعْتُ مِنْهُ بِقَلْبِى المقروحِ
هـا أَنْتَ تَنْدبُ من حكاهُ بريقِهِ ... أَوْ طَعْمِهِ أَوْ دَلَّ فى التَّبْرِيحِ
فَأَنَالَهُ هُو قَدْ فَقَدت بِعَيْنِهِ ... أَوَلَيس بُخْلُ مَدامِعِى بقَبِيحِ
فالنَّارُ فرّقتِ الحَوادِثَ بَيْنَنَا ... وَبِهَا تَذُوبُ حَشَاشَتِى مَعَ رُوحِى

* * *

(١) راق : أى من الرقى ، وهو الصعود .

(٢) راقى : أى من الرقية ، و(الرُّقْيَة) معروفة ، والجمع (رُقًى) ، و(اسْتَرقاه فَرَقَاه) يرقيه (رُقْيَةً) بالضم فهو (رَاقٍ) .

(٣) **سدول** : (سَدَل) ثوبه أرخاه .

(٤) **جموح** : (جَمح) أسرع ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾ [التوبة : ٥٧] .

(٥) **المسفوح** : المهراق ، و(سَفَح) الماء هَرَاقَه ، و(سَفَحَ) دمه سفكه ، ومنه يقال : رجل (سَفَّاحٌ) .

(٦) **اللَّمَى** : (لُمَةٌ) الرجل تِرْبُه وشَكْلُه ، وفى الحديث : « ليتزوج الرجل لُمَتهُ » .

إشَـارَةُ الغُـراب (*)

فبينما أنا فى نشوة الخطاب ، وسَكرة هذا الشراب ، إذ سمعت صوت غراب ، ينعق بين الأحباب ، ويغرق بين الأتراب ، ينوح (١) نوحَ المصاب ، ويندب (٢) ما يجده من أليم العذاب ، قد لبس من الحِدادِ جلباب ، ورضى بين العُبّاد بتسويد الثياب ، فناديته : أيها النادب ، لقد كدّرت ما كان صافياً ،

(*) الغُـراب : بالضم طائر معروف كبير الجثة أسود اللون ، وهو معدود فى الجوارح ، جمعه على غِربان ، وأغربة ، وغرابين ، وغُرْب ، وأغرُب . وقد جمعها ابن مالك فى قوله :

بالغرب أجمع غراباً ثم أغربة   وأغرب وغرابين وغربان

وله كنى كثيرة منها : أبو جحادف ، وأبو الجراح ، وأبو حاتم، وأبو حذر، وأبو زاجر ، وأبو زيدان ، وأبو الشؤم ، وأبو غياث ، وأبو القعقاع .

وأنثاه تبيض أربع بيضات أو خمساً ، والأنثى هى التى تحضن البيض ، وعلى الذكر أن يأتيها بالمطعم ، وفى طبعه أنه لا يتعاطى الصيد ، بل إن وجد جيفة أكل منها .

وسمى الغراب لسواده إن كان أسود ، وأبقع لاختلاف لونه .

قال الجاحظ: قال صاحب منطق الطير : الغراب من لئام الطير وليس من كرامها ولا من أحرارها ، ومن شأنه أكل الجيف والقمامات ، وكانت العرب تتشاءم من الغربان ، لذا اشتقوا اسمه من الغربة .

ومما ورد فى الأمثال : أبصر من غراب ، احذر من غراب ، أشام من غراب البين .

قال العقاد (عباس محمود) تحت عنوان (عادات الغراب) :

بِئْس الغُرابُ وإنْ ذكرتُ بِصَوْتِهِ   عطفَ الحَبيبِ عليه كلَّ صَـبَاحِ
أبـداً يُقَـاطعُ كلَّ شـادٍ حَـوْلَهُ   كمعَطِّلى الإنْشَـادِ فى الأفْراحِ
وإذا شَـدا الكَرَوَانُ أتْبَعَ شَـدْوَهُ   بِصيَـاحِ مَشْئومٍ منـهُ أو بِنَـواحِ
وإذا تَرنَّمتِ القَمـارىُّ أنْبَرَى   ما بَيْنَ تَنْعابٍ وخَفْـقِ جَنـاحِ
حَسَـداً وَلُؤْماً أو غُـرُوراً لم يَزَلْ   دَأْبَ الحَسُـودِ ودَيْدَنَ المِلْحاحِ
لا عادَ فَرْخٌ كان يَنعبُ فَوقَهُ   فَرَمَتْهُ فأسُ الحاطِبِ المُجْتاحِ

(١) نـوح : (التّنَاوُح) التقابل ، ومنه سميت (النَّوائحُ) لتقابلهن ، و(نَاحَت) المرأة ، و (نياحاً) أيضاً بالكسر ، والاسم (النّيَاحة) ونساءٌ (نَوْحٌ) و(أنواح) و(نُوَّح) و(نَوَائِحُ) و (نَائحات) كله بمعنى واحد ، ونقول : كنا فى (مَنَاحة) فلان بالفتح .

(٢) يندب : (نَدَب) الميت بكى عليه وعدّد محاسنه ، والاسم (النُّدْبة) .

ومرّرت ما كان حلواً شافياً ، فما لى أراكَ فى البكور ساعياً ، وعلى الربوع ناعياً[1] ، وإلى البين[2] داعِياً ، إن رأيت شملًا مجتمعاً ، أنذرت بشتاته ، وإن شاهدت ربعاً مُربعاً ، بشّرت بدروس عرصاته[3]، فأنت لذى الخليط المعاشر ، أشأم من قاشر[4] ، وعند اللبيب الحاذر ، ألْأَمُ من مادر[5] ، فنادانى بلسان زجره الفصيح ، وأشار بعنوان حاله الصريح : ويحك أنت لا تفرّق بين الحسن والقبيح ، وقد تساوىٰ لديك العدوّ والنصيح ، لا بالكناية تفهم ولا بالتصريح ، كأن المواعظ فى أذنيك ريح ، وكلام الواعظ فى هواك كالنبيح ، أما تذكر ارتحالك عن هذا الفضاء الفسيح ، إلى ضيق اللَّحْد[6] وظلمات الضريح ، أما بلغك ما جرى على أبيك آدم ، وهو ينادى على نفسه ويصيح ، أما يكفيك ما جرى على داود وهو يبكى بدمعه القريح[7] ، أما تعتبر بنوح وهو ينوح على دار ليس فيها مستريح ، أما سمعت بما جاء فى قصة إبراهيم وهو فى نار النمروذ طريح ، أما تقتدى بصبر الذبيح ، أما تهتدى بزهد المسيح ، ويحك أىّ جمع لم يتفرّق ، وأىّ شمل لم يتمزّق ، وأىّ صفوٍ لم يتكدر ، وأىّ حلو لم يتمرّر ، وأىّ أمل لم يقطعه حلول

---

(١) **ناعياً** : (النَّعْىُ) خبر الموت ، يقال : (نَعَاه) له يَنْعاه (نَعْياً) و (نُعْيَانا) أيضاً بالضم ، و (النَّعِىُّ) أيضاً بالتشديد (النَّاعى) وهو الذى يأتى بخبر الموت .

(٢) **البَيْن** : الفِراقُ .

(٣) **عرصاته** : (العَرْصَة) كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء ، والجمع (العِرَاص) و (العرصات) .

(٤) **قاشر** : قيل : هو فحل لبعض قبائل العرب استطرقوه رجاء أن يؤنث إبلهم فماتت الأمهات والنسل . لذلك يقال : أشأم من قاشر .

(٥) **مادر** : لقب مخلوق لئيم من بنى هلال بن مالك بن صعصعة ، سقى إبله فبقى فى الحوض قليل ، فسلح فيه ، ومدر الحوض به .

(٦) **اللَّحْد** : الشق فى جانب القبر ، و (لَحَد) القبر لَحْداً ، و (ألْحَد) له أيضاً .

(٧) **القُرْحَةُ** : بياض بين عينى الفرس مثل الدرهم الصغير فما دونه .

الأجل ، وأيّ تدبير لم يبطله التقدير ، وأيّ بشير لم يعقبه نذير ، أيّ حال قط مَا حَال ، وأيّ زوال قط ما زال ، وأيّ مال قط ما مال ، أين ذوو العمر الطويل ، أين ذوو المال الوافر الجزيل ، أين ذوو الوجه الجميل ، أما قرضهم الموت جيلًا بعد جيل ، أما ساوى فى الثَّرَى[١] بين المولى الجليل والعبد الذليل ، أما هتف بالمتمتع من دنياه ﴿ **قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ** ﴾[٢] فكيف تلومنى على نُواحى ، وتتشاءم بصياحى فى مسائى وصباحى ، ولو علمت يقيناً أيها اللَّاحى[٣] ما فيه صلاحك وصلاحى ، لا تَّشَحْتَ[٤] بوشاحى[٥] ، ووافقتنى فى سواد جناحى ، وأجبتنى بالنُّواح فى سائر النَّواحى ، وإن ألهاك هَوَاك ولهوك ، وحَجَبك عُجبك وزهوك ، وها أنا أنذر النازل خراب المنازل ، وأُحذّر الآكل غُصَّة المآكل ، وأُبشّر الراحل بقرب المراحل ، وصديقك من صَدقَكْ لا من صَدّقَك ، ومن عزلك لا من عذَرك ، ومن بَصَّرَك لا من صَبَّرك ، ومن وعظَك فقد أيقظك ، ومن أنذرك فقد حذّرك ، ولقد أنذرتك بسوادى ، وحذّرتك بترداد ى ، وأسمعتك ندائى فى النادى ، ولكن لا حَيَاة لمن تنادى ، وفى ذلك أقول :

أنوحُ على ذَهابِ العُمر منّى ... وحقى أن أنُوحَ وأنْ أُنادِى
وأنْدُبُ كُلَّما عَايَنْتُ رَكباً ... حَدا بِهُمُ لِوَشْكِ البَينِ حَادِى
يُعنِّفُنى الجَهُولُ إذا رَآنى ... وقَد أُلْبِسْتُ أثْوابَ الحِدَادِ

---

(١) الثَّرَى : التُّراب .
(٢) سورة النساء : الآية (٧٧) .
(٣) اللّاحى : يقال : (لَحَاهُ) الله : أى قَبّحه ولَعَنَه .
(٤) **لاتشحت** : لبست أو ارتديت ، يقال : (وَشَّحها فَتَوَشَّحت) أى لبسته . وربما قالوا : (تَوَشَّح) الرجل بثوبه وسيفه .
(٥) **بوشاحى** : (الوِشَاح) بالكسر : شىء ينسج من أديم عريضاً ويرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها .

وها أنا كالخَطِيبِ ولَيْسَ بِدْعاً   عَلى الخُطَبَآءِ أثْوابُ السَّوادِ
فقلتُ لهُ : اتَّعِظْ بِلِسانِ حالى   فإِنِّى قَد نَصَحْتُكَ باجْتِهَادِى
أَلَمْ تَرَنى إذا وافيت ربعاً   أُنادِى بالنَّوَىٰ فى كُلِّ وَادِى
أنُوحُ على الطُّلُولِ[1] فلم يُجبْنى   بِساحَتِها سِوَىٰ خُرْسِ الجمَاد
فأُكْثِرُ فى نَوَاحِيها نَواحى   مِن البَيْنِ المُفَتِّتِ لِلْفُؤَادِى
تَيَقَّظْ يا ثَقِيلَ السَّمْعِ وافْهَمْ   إشَارَةَ ما تُشير بِهِ العَوادِى[2]
فَمَا مِنْ شَاهِدٍ فى الكَوْنِ إلَّا   ويشهدُ بالمصيرِ إلى النفادِ
فَكَمْ من رايحٍ فيها وغادى   يُنادينى بقربٍ أو بعادِى
لقد أسْمعتَ لو ناديتَ حَيًّا   ولكنْ لا حَياةَ لمن تُنادِى
وَناراً لَوْ نَفَخْتَ بِهَا أَضَاءَتْ   وَلَكن أَنْتَ تَنْفُخُ فى رَمَادِى

* * *

(١) **الطلول** : (الطَّلَلُ) ما شخص من آثار الدار ، والجمع (أَطْلال) و (طُلُول) .
(٢) **العَوادِى** : (عَوَادِى) الدهر عوائقه .

إِشَـارَةُ الهُـدْهُـدْ (*)

فلما كدّر الغراب عليَّ وقتى ، وحذّرنى مقتى ، انصرفت من حضرتى ، ورجعت إلى خلوة فكرتى ، فهتف بى هاتف من سماء فطرتى : أيُّها السّامع منطق الطير ، المتأسف على فوات الخير ، تالله لو صَفَت الضمائر ، لنفذت البصائر ، واهتدى السائر ، وما ضلَّ الحائر ، ولو طابت السرائر (١) ، لبانت الأمائر ، ولو انشرحت الصدور ، لورد المصدور ، ولو ارتفعت الستور ، لظهر المنشور ، ولو طهُرت القلوب ، لظهرت الغيوب ، وشوهد المحبوب ، ولو أعرضت عن الأسباب ، لفُتح لك الباب ، ولو خلعت ثياب الإعجاب ، لا رتفع الحجاب ولو غبت عن عالم العيب ، لشهدت عالم الغيب ، ولو قطعت العلائق ، لا نكشفت لك الحقائق ، ولو خالفت العادة ، لما قطع عنك مادة ، ولو صححت الإرادة ، لحصلت لك الزيادة ، ولو ملت عن هواك ، لمالَ بك إليه ، ولو فارقت إيَّاك لجمعك عليه ، ولكنَّك محبوس بسجن طبْعَك ، مقيّد بقيد مألوفاتك ، متشاغل بشواغل نفسك ، متعلّق بحبال خيال حسّك ، قد أغرقتك برودة عزمك ، وأحرقتْكَ حرارة حرصك ، وأثقلتك

(*) الهُـدْهُـدُ : من الطيور المشهورة بجمال شكلها ، يجمع على هداهد ، وهداهيد . من صفاته وجود تاج من الريش على رأسه ، وجسمه مغطى بريش مبقع باللونين السنجابى والأسود ، ومن صفاته أيضاً أنه طويل المنقار ، وهو مشهور بشدة الخوف والسكوت ، يأكل الحشرات والديدان ، وهو يبنى عشه فى شقوق الصخور والجدران وجذوع الأشجار ، وهو من الطيور الرحالة .

قال أبو الشيص (محمد بن عبد الله بن رزين) فى وصف الهدهد :

لا تَأْمَنَّن عَلى سِرِّى وسِرِّكُم ... غَيرى وغَيْرِك أو طَىِّ القَرَاطِيسِ
أو طـائِرٍ سَأُحَلِّيهِ وأنْعَتُـهُ ... ما زَالَ صَاحِبَ تَنْقِيرٍ وتَدْسِيسِ
سُودٍ بَراثِنُهُ مِيلٍ ذوائِبُهُ ... صُفْرٍ حَمَالِقُهُ فى الحُسْنِ مَغْمُوسِ
قَد كانَ هَمَّ سُليمانُ ليَذْبَحَهُ ... لَوْلاَ سِعايَتُه فى مُلْكِ بِلْقِيسِ

(١) السرائر : (السّر) الذى يكتم ، وجمعه (أسْرار) ، و (السَّريرة) مثله ، وجمعه (سَرائر) .

تخمة بطرك ، وأسقمتك عفونة رعونتك (١) ، وبرسمتك (٢) وساوس شهوتك ، فأنت زَمِنُ (٣) الهمّة ، مُقْعَدُ العزيمة ، جامد الفكرة ، فاسد الفطرة ، قد انعكس ذوق فهمك ، فرأيت الحَسَن قبيحاً والقبيح حسناً ، فأفسدت صحيح عملك وعلمك ، ولو دخلت إلى بيمارستان (٤) التقوى ، وعرضت على قارورة (٥) البلوى ، ورفعت قصة الشكوى إلى طبيب يعلم السرَّ والنجوىٰ ، ومددت إليه كفّ ذلّتك ليجسّ نبض علّتك ، وينظر فى سجيتك ، فيعلم حقيقة محنتك ، فَيُسْلِمك إلى قيّم مؤدّب الشرع ، فيعقلك بِعقال العقل ، ويضربك بسياط الخوف ، ويروّحك بمروحة الرجاء ، ثم يحميك فى حمى الحماية ، ويكتب فى دستور علاجك بإصلاح مراجك ، فيعبّئ لك من عنَّاب العناية ، ويسقيك من تمر هندى الهداية ، وإجاص (٦) الإخلاص ، وبنفسج الرجاء ، وأهليلج الالتجاء ، وخيار شنبر الأخيار ، ومحمودة التوكّل ، ويرضّ الجميع على أرض الرضا ، ويدقّ على هاون الصبر ، وينخل بمنخل الورع ، ويصفّى على سكّر الشكر ، ويستعمل بعد الحمية فى خلوة السَّحَر ، بحضرة الطبيب ، وخلوة الحبيب ، وغفلة الرقيب ، لعلّه يسكن من قلبك الوجيب (٧) ، ويبرد من فؤادك اللَّهيب ، ويُردّ القلب السَّليب ، فيعتدل المزاج ، وتبرد حرارة الأوهاج ، ويطيب الشراب ، فتنضج علتك ، وينفتح سمع يقظتك ، ويُفتح لك الباب ، فتسمع نداء :

---

(١) **رعونتك** : (الرُّعُونة) الحمق والاسترخاء ، ورجل (أرْعَنُ) وامرأة (رَعْنَاء) .

(٢) **برسمتك** : (البرسام) ورم حارّ فى الحجاب المعترض بين القلب والمعدة يحصل معه الهذيان .

(٣) **زَمِنٌ** : (الزَّمانة) آفةٌ فى الحيوانات ، ورجل (زَمِنٌ) أى مبتلى بين الزَّمانة .

(٤) **بيمارستان** : مستشفى .

(٥) عرض القارورة عند الأطباء القدامى ، يعنى تقديم عينة من البول لفحصها .

(٦) **إجاص** : (الإجاص) دخيل ، لأن الجيم والصاد لا يجتمعان فى كلمة واحدة عند العرب . الواحدة (إجاصة) ولا تقل : إنْجَاص .

(٧) **الوجيب** : (وَجَبَ) القلب (وَجيباً) اضطرب .

هل من داع فأستجيب له[1]؟ ، ويستنير بصر بصيرتك ، فتشاهد حينئذٍ كل معنى غريب ، وترى كل شيءٍ عجيب . أما ترى إلى الهدهد لما حَسُنَتْ سيرَتُهُ ، وصفت سريرته ، كيف نفذت بصيرته ، فتراه يشاهد بالبصيرة ما تحجبه الأرض عن سائر البشر ، فيرى فى باطنها الماء الثجّاج[2] ، كما تراه أنت فى الزجاج ، فيقول بصحة ذوقه : هذا عذب فُرات سائغ[3] شرابه ، وهذا ملح أُجاج[4] ، ولسان حاله يقول ، لمن له ذوق وإدراك ومعقول : أنا الذى أُوتيت مع صغر الجثمان ما لم يؤته الله لنبيه سليمان ، هو أُعطى ملكاً لا ينبغى لأحدٍ من بعده ، وأنا أُوتيت علماً لا يعلمه هو ولا أَحَدٌ من جنده . كنت معه حيث ما سَرَى وجدّ به السرى ، أدلّه على الماء من تحت تخوم[5] الثرى ، فغبت عنه ساعة ، فعجز عن الاستطاعة ، فعرض أتباعه وأشياعه أجمعين ، وقال : ﴿ ... **مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَآئِبِينَ** ﴾[6] ، والعجب أنه افتقدنى حالة افتقاره إلىَّ ، ثم تهددنى بسطوة اقتداره علىّ ، فقال : لأُعذّبنه أو لأذبحنّه ، والقدر يقول : لأقرّبنه ولأهْدِينّه .

فلما جئت من سبأ بنبأ يقين ، وقلت : أحطت بما لم تُحط به ، زاد ذلك فى غضبه ، وقال : يا صغير الجِرْم ، يا كبير الجُرْم ، أما كفاك غيبتك

(١) فيه إشارة إلى الحديث القدسى : « ينزل ربنا - عَزَّ وَجَلَّ - كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول : هل من داع فأستجيب له ، هل من مستغفر فأغفر له ... » رواه البخارى (٨/٨٨) ، ورواه مسلم فى صلاة المسافرين (١٦٨) ، ورواه الإمام أحمد (٢/٢٦٤ ، ٢٦٧) ، ورواه الترمذى (٣٤٩٨) .

(٢) **الثجاج** : (ثَج) الماء سَيْله ، ومطر (ثَجَّاج) أى منصب جدًّا .

(٣) **سائغ** : (سَاغَ) الشراب سَهُلَ مدخله فى الحلق ، و (ساغه) غيره ، و (أساغَه) غيره . قال الله تعالى : ﴿ **يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ** ﴾ [إبراهيم : ١٧] .

(٤) **أُجاج** : ماء (أُجاجٌ) أى مِلْحٌ مُرٌّ . وقد (أَجَّ) الماء يَؤُجُّ (أُجُوجاً) بالضم .

(٥) **تخوم** : (التَّخْم) بالفتح منتهى كل قرية أو أرض ، وجمعه (تُخُوم) . قال الفراء : تخوم الأرض حدودها .

(٦) سورة النمل : الآية (٢٠) .

عنّى ، حتى تدّعى أنك أعلم منى ، فقلت : الأمان يا سليمان ، أنت سألت ملكاً لا ينبغى لأحدٍ من بعدك ، ما سألت علماً لا ينبغى لأحد من بعدك ، وقد جئتك من سبأ بالنبأ العظيم ، وفوق كلِّ ذى علمٍ عليم [١] ، فقال : أيها الهدهد من صحّ له السلوك أؤتمن على أسرار الملوك ، اذهب بكتابى ، وعجل بجوابى ، فذهبت بكتابه ، وعجلت بجوابه ، فقرّبنى إلى جنابه ، وكتبنى من حُجّابه ، بعد أن كنت من وراءِ حِجَابِهِ ، ثم كسانى من ملابس الكرامة تاجاً ، وكنت إلى ذلك محتاجاً ، ثمَّ نُسِخت أحكام ذبحى ، وتُليت آيات مدحى [٢] ، فإن كنت ممّن يقبل نُصحى ، فحسّن سيرتك ، وصفٌ سَرِيرَتك ، وطيّب أخلاقك ، وراقب خلَّاقَكَ ، وتأدّب بأحسن الآداب ، ولو أنها من الدواب ، فإنه من لم يأخذ إشارته من صرير الباب ، ولم يعتبر بطنين الذُّباب ، ونباح الكلاب ، وحشرات التُّراب ، ويفهم ما تشير به السَّحاب ، ولم السَّراب [٣] ، وضياء الضباب ، فليس من ذوى الألباب ، وفى ذلك أقول :

مَنْ لَمْ يَصُنْ سِرَّ مَوْلَاه وسيّده   لَمْ يَأْمَنُوهُ علَى الأَسْرَارِ مَا عَاشَا
وَعَاتَبُوه عَلَى مَا كَانَ مِنْ زَلَلٍ   وَأَبْدَلُوه مَكَانَ الأنس إيحَاشَا

* * *

---

(١) فيه إشارة إلى الآية ٧٦ من سورة يوسف .

(٢) فيه إشارة إلى قصة سيدنا سليمان – عليه السلام – مع النملة التى وردت فى سورة النمل ، يقول الله تعالى : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الغَآئِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ .

(٣) السَّراب : الذى تراه نصف النهار كأنه ماء .

إِشَـارَةُ الكَلْبِ (*)

فبينما أنا منصت لسماع الجواب، إذ نادانى كلب من الكلاب ، واقف على الباب ، يلتقط ما يسقط على المزابل من دقيق اللباب ، فقال لى : يا من هو من وراء الحجاب ، يا محجوباً عن مسبب الأسباب ، يا مُسبلًا (١) ثياب الإعجاب ، تأدّب بآدابى ، فإن فعل الجميل دأبى (٢) ، وسُسْ (٣) نفسك بسياستى ، وما عليك من خساستى (٤) ، فإن كنت ترانى فى الصورة حقيراً ،

(*) الكلب : من الحيوانات ذات الخلال الحسنة ، وأظهر ما فيه من تلك الخلال خلة الوفاء لصاحبه ، والقيام على ماله ، وملازمة داره ،والذود عنه بنفسه . وهو ذكى جدًّا ، ومحب لسيده ، يجرى مسافات شاسعة بدون كلال ، ويحسن السباحة ، وهو قليل العرف ، كما أنه شديد الحس بالشم . تحمل أنثاه (٦٣) يوماً ، وتلد من جروين إلى اثنى عشر جرواً ، ويبلغ الجرو أشده فى سنتين ، ولا يزيد عمر الكلب عن (٢٠) سنة . قال الدميرى : وفى الكلب من اقتفاء الأثر وشم الرائحة ما ليس لغيره من الحيوانات ، وهو أيقظ الحيوانات عيناً فى وقت حاجته إلى النوم ، وغالب نومه نهاراً ، وهو فى نومه أسمع من فرس وأحذر من عقعق .

والكلب يجمع على : أكلب ، وكلاب ، وكَليب . والكلبة أنثى الكلاب ، وجمعها كلبات . والكلاب نوعان : أهلى وسلوقى ، نسبة إلى سلوق (بالفتح) أرض باليمن ، وكلا النوعين فى الطبع سواء .

قال أبو البحر جعفر بن محمد الحظّى فى كلاب الصيد :

ولم أرَ كالكِلَابِ ذواتِ عَـدْوٍ ... عـلى أثَـرِ الأرَانِبِ والظِّبـاءِ
مَتى أرْسَـلْتَهنَّ وراءَ صَـيْدٍ ... فَجـاذَبَهُنَّ أهْـدابَ النَّجـاءِ
عَلِقْـنَ بِهِ ولَوْ كَانَتْ يَـدَاهُ ... تُشَـدُّ بِذَيْلِ عاصِفَةِ الهَـوَاءِ

(١) مسبلا : (أَسْبَلَ) إزاره : أرْخَاهُ .

(٢) دَأْبِى : (دَأَب) فى عمله : جدّ وتعب ، فهو (دائب) و (الدَّأْبُ) بسكون الهمزة : العادة والشأن .

(٣) سُسْ : (سَاسَ) الرعية يَسُوسها (سِيَاسَة) بالكسر .

(٤) خَسَاسَتِى : (الخَسِيس) الدَّنِئ . وقد (خَسّ) يَخَسّ بالفتح (خِسّةً) ، و (خَسَاسة) و (اسْتَخَسَّه) عده خسيساً .

فإنى فى المعنى فقيراً ، لا أزال واقفاً على أبواب سادتى ، غير راغب فى سيادتى ، ولا أتغيّر عن عاداتى ، ولا أقطع عنهم موداتى ، وأحامى عنهم بنفسى ، ولا أخاف رمسى (١) ، أُطرد مراراً فأعود ، وأُضرب ولست بالحقود ، فأنا الصّاحب الودود ، الباقى على حفظ العهود ، أقوم إذا كانت الخلائق (٢) رقود وأصوم إذا رأيت الخِوَانَ (٣) ممدود ، وليس لى مالٌ معدود ، ولا وقت موعود ، ولا سِمَاطٌ (٤) ممدود ، ولا رباط معهود ، ولا مقام محمود ، إن أُعطيت شكرت ، وإن مُنعت صبرت ، لا أُرى فى الأوقات شاكياً ، ولا على ما فات باكياً ، إن مرضت فلا أُعاد (٥) ، وإن متُّ فلا أحمل على أعواد ، وإن غبت فلا يقال : ليتهُ عاد ، وإن سافرت فلا أستصحب الزاد ، لا مالَ لى يُورث ، ولا عقار يُحْرث ، إن فقدت فلا يُبكى علىّ ، وإن وُجِدت فلا يُهشّ (٦) إلىّ ، وإن مرضت فلا يُمشى إلىّ ، وأنا مع ذلك أحوم حول حِماهم ، وأدوم على وَلاهم ، عاكف على مزابلهم ، قانع بطلّهم دون وابلهم ، فإن كانت صورتى ذميمة ، فإنى قانع بلُقَيمة (٧) ، فإن أنت أعجبتك خِلالى (٨) ، فاتبع أحوالى ، وإن أردت وفاقى فتخلّق بأخلاقى ، وقل : سبحان الباقى ، تصير إلى العُلا راقى ، وفى ذلك أقول :

---

(١) **رَمْسى** : (رَمَس) الميت : دفنه ، و(أرْمَسَه) أيضاً ، و(الرَّمْس) تراب القبر ، و(المَرْمَسُ) موضع القبر .

(٢) **الخلائق** : (الخَليقة) هم خليقة الله وهم خَلقُ الله ، والجمع (الخلائق) .

(٣) **الخِوَانُ** - بالكسر - : الذى يؤكل عليه .

(٤) **سِمَاط** : (السِّمْط) الخيط ما دام فيه الخرز وإلا فهو سلك ، و(السِّمْط) أيضاً واحد (السُّموط) وهى السيور التى تعلق من السرج .

(٥) **أُعاد** : (عُدْتُ) المريض أَعُودُه (عيادةً) بالكسر .

(٦) **يُهش** : (الهَشَاشة) بالفتح : الارتياح والخفة للمعروف ، وقد (هشَّ) به يَهَشُّ بالفتح (هَشَاشةً) إذا خف إليه وارتاح له ، ورجلٌ (هَشٌّ) وشىءٌ هشٌّ ، و(هَشِيشٌ) أى رخو لين .

(٧) **لقيمة** : تصغير لقمة ، يقال : (لَقِم) .

(٨) **خلالى** : (الخَلّة) بالفتح : الخصلة .

أَنـا كَلْبٌ حَقِـيرٌ قَـدْراً وَلَكِنْ لى قَلْبٌ خَالٍ من الأَدْغَالِ (1)
فتَعَـلَّم حِفْـظ المَـوَدَّة مِنِّى وتَمَسّـك إلى العُـلَا بِحبـالِى
أَحْفَظُ الجَارَ فى الجِوَارِ وَدَأْبِى أَنْ أُحـامِى عَلَيْهِمْ فى اللَّيـالِى
وَتَرَانِى فِى كُلِّ عُسْـرٍ ويُسْـرٍ صَـابِراً شَـاكِراً عَلَى كُلِّ حَالِ
لا يُبَـالَى علىَّ إنْ مِتُّ جُـوعاً أو سَـقَتْنِى الأَيّامُ مُرَّ النِّكَالِ
لا يَرَانِى الإِلٰه أشكُوا لخَـلْقٍ إذْ عَلَى اللَّـهِ فى الأُمُورِ اتّكالِى
أَحْمِلُ الضيمَ مِنْهُ صَوْناً لِسرّى وَفِرَاراً من مُرّ ذُلِّ السُّـؤالِ
فخِـلَالى عَلَى خَسَاسَةِ قَدْرِى فى المَعَالى يَفُقْنَ كُلَّ الخِلالِ

* * *

(1) **الأدغـال** : (الدَّغَل) بفتحتين : الفساد .

إِشَـارَةُ الـجَمَـل (*)

فناداني الجمل حينئذٍ وقال : أيُّها الراغب في السلوك ، المتأدب بآداب الملوك ، إن كنت تعلّمت من الكلب زهداً وفقراً ، فتعلّم منّي جلداً وصبراً ، فإنه من توسّد (١) الفقر وجب عليه معانقته ، فإنَ الفقير الصابر هو المعدود من الأكابر ، وهو خير من الغني الشاكر . ها أنا ذا أحمل الأحمال الثقال ، وأقطع بها المراحل الطِّوال ، وأكابد (٢) الكلال (٣) ، وأصبر على مُرّ

(*) **الجمل** : حيوان عظيم الجسم ، شديد الانقياد ، ينهض بالحمل الثقيل ويبرك به ، ويتخذ على ظهره بيت يقعد الإنسان فيه مع مأكوله ومشروبه وملبوسه كما في البيت ، وهو يمشي بكل هذا ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** ﴾ [الغاشية : ١٧] . وربما تصبّر عن الماء عشرة أيام ، وإنما طولت رقبته ليستعين بها على النهوض بالحمل الثقيل ، وينال الأرض يرعى منها حالة قيامه لتكون الرقبة مناسبة للقوائم ، وليبلغ مشفره سائر جسده يحكه به . وجمع الجمل : جمال ، وأجمال ، وجمائل ، وجمالات . قال تعالى : ﴿ **كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ** ﴾ [المرسلات : ٣٣] . والجمل البازل ، أي الذي بلغ تسع سنين أو الجمل الجذع ، أي الذي بلغ خمس سنين يقع على الذكر والأنثى ، والجمل هو بمنزلة الرجل ، والناقة بمنزلة المرأة . وصفات الجمل كثيرة ، منها :

* **العَوْجَاءُ** : أي الضامرة . قال الحطيئة :

فَمَا زَالَتْ العَوْجَاء تَجْرى طفُورَهَا ... إِلَيكَ ابْن شمَاس نَرُوحُ وَنَغْتَدِى

* **الحُرْجُوجُ** : الضامرة ، وكذلك المُقوَّرَةُ . قال سحيم :

فَقَرَّبْتُ نَفْسِى وَاجْتَنَبْتُ غَوايتِى ... وَقَرَّبْتُ حُرْجُوجَ العشيَّةَ نَاجِيَا

وقال ديك الجن :

وَرُبَّ مَقُوَّرَةٍ مُلَمْلَمَلةٍ ... فِى عَارِضٍ للحمام مُنْسَكِبِ

* **العيرانةُ** : أي الصلبة . قال الشاعر بشامة بن القدير :

فَقَرَّبْتُ للرَّجُلِ عيرانة ... عذافرة عنتربا ذمولا
مُدَاخِلَةٌ الخَلْقِ مَضْمُورَة ... إذَا أَخَذَ الخَافِقَاتُ المَقِيلا

(١) **توسد** : استعار هذا التشبيه للدلالة على أن الفقر قد أصبح رفيقه وتحت رأسه كأنه مخدة ، يقال : (وَسَّدْتُه) الشيء (تَوْسِيداً فَتَوَسَّدَه) إذا جعلته تحت رأسه .

(٢) **أكابد** : (كابَدَ) الأمر قاسى شَدته .

(٣) **الكلال** : (كَلَّ) الرجل ، والبعير من المشي يكلُّ (كَلَالا) و (كَلَالة) أيضاً : أي أعيا .

النكال(١) ، ولا يعتريني من ذلك مَلال(٢) ، لا أصول صولة الإدلال(٣) ، بل أنقاد للطفل الصغير ، ولو شئتُ استصعبت على الأمير الكبير ، فأنا الذَّلول(٤) ، وللأثقال حَمول ، لستُ بالخائن ، ولا الغَلول(٥) ، ولا الصائل(٦) عند الوُصول ، ولا المائل عند القفول ، أقطع فى الوحول(٧) ، ما يعجز عنه الفحول ، وأُصابر الظمأ فى الهواجر(٨) ولا أحول(٩) ، فإذا قضيت حق صاحبى ، وبلغت مآربى(١٠) ، ألقيتُ حبلى على غاربى(١١) ، وذهبت فى البوادى ،

---

(١) **النكال** : (النِّكل) القيد ، وجمعه (أَنْكَالٌ) .

(٢) **ملال** : (مَلَّ) الشيء ومَلَّ من الشيء يَمَلّ بالفتح (مَلَلًا) و (مَلَّةً) و (مَلَالة) أيضاً : أى سئمه . و (استَمَلَّ) بمعنى ملّ ، ورجل (مَلّ) و (مَلُولٌ) و (مَلُولَة) وذو (مَلَّة) وامرأة (مَلُوَلة) .

(٣) **الإدلال** : الثقة ، يقال : فلان (يُدلّ) بفلان : أى يثق به . قال أبو عبيد : (الدَّل) قريب المعنى من الهَدْى وهما من السكينة والوقار فى الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك .

(٤) **الذلول** : (الذِّلّ) بالكسر : اللين ، وهو ضد الصعوبة ، يقال : دابة (ذَلُول) بينة (الذِّلّ) من دواب (ذُلُل) و (أذَلّه) و (ذَلَّله تَذْليلًا) و (اسْتَذَلّه) كله بمعنى واحد .

(٥) **الغلول** : (الغِلّ) بالكسر : الغش والحقد أيضاً . وقد (غَلَّ) صدره يَغلّ بالكسر (غلًّا) إذا كان ذا غشٍّ أو ضغنٍ أو حقدٍ .

(٦) **الصائل** : الواثب ، يقال : (صال) عليه استصال وصَال عليه وثب ، و (صَوْلَةً) أيضاً و (المُصاولة) المواثبة ، وكذلك (الصيّال) و (الصُّيالة) .

(٧) **الوحول** : (الوَحَل) بفتحتين : الطين الرقيق ، و (المَوْحَل) بفتح الحاء : المصدر وبكسرها المكان ، ويقال : (وَحِلَ) الرجل بالكسر يَوْحَل (وَحَلًا) و (مَوْحَلًا) أيضاً بفتح الحاء فيهما : أى وقع فى الوحل .

(٨) **الهواجر** : (الهَاجرة) و (الهَجيرُ) نصف النهار عند اشتداد الحر ، و (التَّهْجير) ، و (التَّهَجُّر) السير فى الهاجرة .

(٩) **أحول** : (حَالَ) عن العهد تحول (حُؤُولا) انقلب ، و (حَالَ) إلى مكان آخر يَحُول (حَوْلا) ، و (حِوَلا) بكسر الحاء وفتح الواو : أى تحول .

(١٠) **مآربى** : حاجتى ، يقال : (الإرب) الحاجة ، وكذا (الإرْبة) و (الأَرَب) بفتحتين و (المأْرُبَة) بفتح الراء وضمها .

(١١) **غاربى** : (غَرْبُ) كل شيء حدُّه ، و (الغارب) ما بين السنام إلى العنق ، ومنه قولهم : حَبلُك على غاربك : أى اذهبى حيثُ شئتِ ، وأصله أن الناقة إذا رعت وعليها الخطام أُلقى على غاربها لأنها إذا رأته لم يهنئها شيءٌ .

أكتسب من المباح زادى ، فإن سمعت صوت حادى ، سلمت إليه قيادى ، وواصلت فيه سُهادى[1] ، وطلّقت طيب رقادى ، ومددت إليه عنقى لبلوغ مرادى ، فأنا إن ضللت فالدليل هادى ، وإن ذَلَلْتُ أخذ بيدى مَنْ إليه انقيادى ، وإن ظمئت فذكر الحبيب مائى وزادى ، فأنا المسخّر لكم بإشارة ﴿ **وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنفُسِ** ﴾[2] ، فلم أزل بين رِحلةٍ ومُقَام ، حتّى أصل إلى ذلك المَقَام ، وفى ذلك أقول :

يَا عَذُولِى[3] سَلِّم المحبَّ قِيَادِى ثمَّ دَعْنِى فَمَا عَلَيْكَ رَشَادِى
حُبُّهُ رَاحَتِى وَرَوح حَيَاتِى وَكَذَا ذِكْرُهُ بَلَاغِى وَزَادِى
فَإِذَا مَا ضَلَلْتُ أو ضلَّ رَكْبٌ عَنْ حِمَاهُ فَوَجْهه لِى حَادِى
يا عَذُولى سَلِّمْ إلىَّ قِيَادِى ثُمَّ دعْنِى فَمَا عَلَيْكَ رَشَادِى
إنْ تَلُمْنى أو لَا تَلُمْنى فَإنَّ حُبَّهُ مَذْهَبِى وَأَصْلُ اعْتِقَادِى

* * *

(١) **سهادى** : (السُّهَاد) الأرق ، و(سَهَّده تَسْهِيداً) فهو (مُسَهَّد) .
(٢) سورة النحل : الآية (٧) .
(٣) **عذولى** : (العَذْلُ) الملامةُ . وقد (عَذَله) والاسم (العَذَل) بفتحتين ، وقد (عَذَله فاعتذل) أى لام نفسه وأعتب .

إشَـارَةُ الفـرس (*)

فقال الفرس : أيُّها الفقير الصابر ، الطالب سُبُلَ المفاخر والمآثر ، تعلّم منى صدق الطلب ، وحسن الأدب لبلوغ الإرب (١) ، ها أَنَا أحمل مُباهلى (٢) على كاهلى (٣) ، فأجتهد به في السير ، وأنطلق به مسرعاً كالطير ، أهجم هجوم الليل ، وأقتحم اقتحام السيل ، فإن كان طالباً أَدرَكَ بى طلبه ، وبلغ بى أربه ، وإن كان مطلوباً قطعت عنه طالبهُ ، وجعلت أسباب الردىٰ (٤) عنه مُحتجبة ، فلا يُدرك منى إلّا الغبار ، ولا يسمع عنى إلّا الأخبار ، فإن كان الجمل هو الصّابر المجرَّب ، فأنا المجتبى (٥) المقرب ، وإن كان هو للقصد لاحق ، فأنا المقرب السابق ، فإذا كان يوم اللِّقاء (٦) قَدِمْتُ إقدام الوالِه (٧) ، وسبقت العدو مواقع نِبَاله (٨) ، والجمل متخلّف لثقل أحماله ، وهو مُعَاقٌ لنفيس ما فى رحاله ، ورأيت ثَمَّ حقوقاً لا يستوفيها إلّا كل مُوفٍّ ، وطريقاً

(*) **الفـرس** : واحد الخيل ، والجمع أفراس . الذكر والأنثى فى ذلك سواء وأصله التأنيث ، والذكر حصان ، وجمعه حُصُن ، وأهم ألوان الخيل : الأشقر ، والأشهب ، والأصفر ، والكميت .

قال عبدُ الله بن عباس – رضى الله عنهما – :

أحِبُّوا الخيل واصْطَبِرُوا عليها ... فإنَّ العِـزّ فيهـا والـجَمَـالا
إذا ما الخَيـل ضيَّعها أُنَاسٌ ... رَبَطْنـاها فأشْـرَكَتِ العِيـالا
نُقَاسِمُها المَعِيشَةَ كلَّ يَـوْمٍ ... وَنَكْسُـوها البراقِعَ والـجِلال

(١) **الإرب** : الحاجة .

(٢) **مباهلى** : (المُبَاهَلَة) الملاعنة . والمعنى : أى أحمل من دائماً يضربنى ويشتمنى .

(٣) **كاهـلى** : (الكاهل) ما بين الكتفين .

(٤) **الردى** : الهلاك ، و(رَدِىَ) أى هلك ، و(أرْدَاهُ) غيره : أى أهلكه غيره .

(٥) **المجتبى** : (اجْتَبَاه) اصطفاه .

(٦) **يوم اللقـاء** : يوم المعركة والالتحام .   (٧) **الوالـه** : العاشق .

(٨) **نبـاله** : (النَّبل) السهام العربية ، وهى مؤنثة لا واحد لها من لفظها ، وقد جمعوها على (نِبَال) و(أنْبَال) .

لا يبلغها إلّا كلّ مُخِفٌّ ، فلذلك شمّرت عن ساق ، وتضمّرت[(١)] ليوم السباق ، وقل لمن أسكره الطيش فما أفاق ، وغرّهُ العيش الذى قد راق : ما عندكم ينفد وما عند الله باق[(٢)] ، فيامن هو عن المراد مردود ، وفى الطراد مطرود ، هلّا نظرت إلى الوجود وما فيه موجود ، وفهمت المقصود ، وأقمت على نفسك الحدود ، وأوثقت جوارحك بالقيود ، وذكرت الأجل المحدود ، وخشيت اليوم الموعود ، ها أَنَا لمّا أوثق سائقى قيدى ، أمِن قائدى كيدى ولكم أَكَلَ سائقى من صيدى ، وكم لى على سائقى من أيدى ، أُوثِقت بِشِكالى[(٣)] ، لكيلا أصول على أَشْكَالى ، وأُخذت بعِنانى[(٤)] ، كيلا أنطلق إلى غير ما عَنَانى ، وأُلجمت بلجامى ، كيلا يفسد علىّ صيامى ، وأُلزمت بحزامى[(٥)] ، كيلا أغفل عن قيامى ، وأنْعِلت[(٦)] بالحديد أقدامى ،

---

(١) **تضمرت** : (الضُّمْر) بسكون الميم وضمها : خفة اللحم . وقد (ضَمَر) الفرس ، و (ضَمُر) أيضاً بالضم (ضُمْراً) فهو (ضَامِرٌ) فيهما و (أضْمَره) صاحبه و (ضَمّره تضميراً فأضْمَرَ) هو وناقةٌ (ضَامِرٌ) و (ضَامِرَة) و (تَضْمير) الفرس أيضاً : أن تعلفه حتى يسمن ثم ترده إلى الفوت وذلك فى أربعين يوماً ، وهذه المدة تسمى (المِضْمَار) والموضع الذى تضمر فيه الخيل أيضاً (مِضْمَارٌ) .

(٢) فيه إشارة إلى قول الله تعالى فى سورة النحل ، الآية (٩٦) : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ... ﴾ .

(٣) **شكالى** : (الشِّكَال) العِقَال ، والجمع (شُكُلٌ) ، وفى الحديث : أن النبى ﷺ كره الشكال فى الخيل ، وهو أن تكون ثلاث قوائم وواحدة مطلقة أو ثلاث قوائم مطلقة ورجل محجلة ، ولا يكون الشكال إلا فى الرجل . والفرس (مَشكُول) وهو مكروه ، و (شَكَل) الطائر والفرس بالشِّكال .

(٤) **عنانى** : (العِنَان) للفرس اللجام ، وجمعه (أعِنَّة) .

(٥) **حزامى** : (حِزَام) الدابة والفرس ما يربط به رأسه وظهره وبطنه . وقد (حَزَم) الدابة ، ومنه (حِزَام) الصبى الذى يربط به فى مهده .

(٦) **أنعلت** : (النَّعْل) الحذاء وهى مؤنثة وتصغيرها (نُعَيْلة) نقول : (نَعَلَ) و (انْتَعَل) أى احتذى ، ورجل (نَاعِلٌ) أى ذو نعلٍ ، و (أَنْعَلَ) خفه ودابته ، ولا يقال : نَعَل .

كيلا أَكِلَّ[1] عن إقدامى ، فأنا الموعودُ بالنجاة ، المعدود لاكتساب المال والجاه ، المشدود للسلامة ، المقصود للكرامة ، وقد أجزل المنعم علىَّ إنعامه ، وأمضى بالعناية الأزلية أحكامه ، بأن الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة[2] ، خُلقتُ من الريح ، وأُلهمت التقديس والتسبيح ، وما برح ظهرى عزًّا ، وبطنى كنزاً ، وصُحبتى حرزاً[3] ، فكم ركضت فى ميدان السباق وما أبديت عجزاً ، وكم أُلبست من ملابس أهل الشقاق خزًّا[4] ، وكم حَزَزْت رؤوسَ أهل النِّفاق حَزًّا ، وكم أخليت منهم الآفاق ، هل تحسُّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً[5] .

وفى ذلك أقول :

لَهُ صَدْرُ طَاوُوسٍ وَسَاقُ نَعَامَةٍ   وَوَثْبَةُ فَهْدٍ والْتِفَاتُ غَزَالِ
وَأَحْسَنُ مِنْ خَيلٍ تشد بِأَرْجُلٍ   نخط هِلالًا مِنْ وَرَاءِ هِلَالِ

قلت أيضاً :

وكأنَّمَا نَقَشَتْ حَوَافِرُ خَيْلِنَا   للنَّاظِرِينَ أَهِلَّةً فى الجِلْدِ
وكأنَّ طرفَ الشَّمْسِ مطروفاً   وَقَدْ جَعَلَ الغُبَارَ لَهَا مكانَ الإثمدِ[6]

* * *

(١) أَكِلَّ : (كَلَّ) الرجل والبعير من المشى يكلُّ (كَلَالا) و (كَلَالة) أيضاً : أى أعيا ، يقال : (أَكَلَّ) الرجل بعيره أعياه .

(٢) فيه إشارة إلى الحديث الشريف : « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة » رواه البخارى (٣٤/٤) ، ورواه الترمذى (١٦٣٦) ، ورواه الإمام أحمد (٤٩/٢) .

(٣) حرزاً : (الحِرز) الموضع الحصين ، يقال : هذا (حِرْزٌ حَرِيز) ويسمى التعويذ (حِرْزاً) و (احْتَرَز) من كذا ، و (تَحَرَّز) منه : أى توقاه .

(٤) خزًّا : (الخَزُّ) واحد (الخُزُوز) نوع من الثياب .

(٥) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة مريم ، الآية (٩٨) : ﴿ ... هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً ﴾ .

(٦) الإثمد : حجر يكتحل به .

إِشَــارَةُ الفَهْــد (*)

فقال الفهـد : تعلم منى حُسن الأَنَفَة ، والأخلاق الصَّلِفة[1] ، فأنا لست فى الطلب كالفرس ، ولا كالأسـد إذا افترس ، أنا لعلوّ همّتى ، وسموّ عَزيمتى ، أُراقب مطلوبى ، وأُجالس محبوبى ، وأُراوغ صيدى بمراوغة كيدى ، فإن لم أدركه فى أول وثبة ، غضبت على نفسى غضبة وأىَّ غضبة ، فيترضـانى أهلى فلا أرضى ، ويصيرون لى فى التلطّف أرضـاً ، وما غضبى إلّا من التقصير ، والساعد القصير ، فيجب على من استوثب نفسه على المكارم فنكَصت[2] ، ودعاها إلى الكمال فَتَقُصت ، أن يغضب عليها الأَنِف ، ثم يعـود إلى التوبة سريعاً ويستأنف ، ولا يرضى لها بالهمّة

(*) **الفَهْـدُ** :حيوان من ذوات الثدى ، يستأنس ويمرن على الصيد على ما ينبغى ، وهذا ما يجعله أقرب شبهاً بالكلب . قال الدميرى : مزاج الفهد كمزاج النمر ، وفى طبعه مشابهة لطبع الكلب ، ويضرب بالفهد المثل فى كثرة النوم ، وهو ثقيل الجثة يحطم ظهر الحيوان فى ركوبه ، ومن خُلُقه الغضب ، وإذا وثب على فريسة لا يتنفس حتى ينالها فيحمى لذلك ، وتمتلىء رئتيه من الهواء الذى حبسه ، ومن خلقه أن يأنس لمن يحسن إليه ، والجمع : أفهد ، وفهود ، والأنثى فهـدة ، **والفهّاد** : صاحبه ومعلمه .

قال عبد الله بن المعتز :

ولا صَـيْـدَ إلّا بِـوَثّـابَـةٍ ... تَطِـيرُ عَلَى أرْبَعٍ كالعَـذَبْ
وإنْ أُطْلِقَتْ مِـنْ قِلادَاتِهَـا ... وطَـارَ الغُبـارُ وجُدّ الطَّلَبْ
فَزَوْبَعَـةٌ من بَنـاتِ الرِّيَاحِ ... تُرِيك عَلى الأرْضِ شَدًّا عَجَبْ
تَضُـمُّ الطَّرِيدَ إلى نَحْـرِهَـا ... كَضمِّ المُحِبِّ لِمَن قَدْ أَحَبْ
إذا مـا رأى عَـدْوهَـا خَلْـقَـهُ ... تَنـاجَتْ ضَـمَـائِرُهُ بالعَطَبْ

(١) **الصلفة** : قال الخليل : (الصَّلَف) مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبراً ، فهو رجل (صَلِفٌ) وقد (تَصَلَّف) .

(٢) **نَكَصَتْ** : (النُّكُوص) الإحجام عن الشىء ، يقال : (نَكَص) على عقبيه : أى رجع .

الدنيّة[1] ، ولا بالأحوال الرديّة[2] ، ولا يرضى عنهـا بتخليط النية ، ثم إن فيَّ لطيفة مَعْنًى ، يفهمها من كان معنا ، وذلك أنه ربما اعترانى من التخليط سِمنٌ ، فيغلب عليَّ شحمى ، وتثقلنى كثرة دمى ولحمى ، وتؤذينى تخمة البِطَنة ، وثقلة السمنة ، فأخاف أن أطلب فأُدرك ، وأن ألاقى فأقتنص فى المعْرك ، فترانى منفرداً عن أبناء جنسى ، مختبىء فى خلوتى لإصلاح نفسى ، فأعالج نفسى بقطع المألوف ، وترك العـادة ، وأذيب شحمى بالجـوع الذى هـو مخّ العبادة ، فإذا تمّت الحمية ، وصحت البنية ، وصفا جسـدى من العفـونة ، وبرئت نفسى من الرعـونة ، خرجت من عشّى ، وقد صـفا كدر عيشى ، فحيثما انبسطت بسطتُ فرشى ، وحيثما شئت نصبت عرشى ، فإن كنت يا هذا من رجالى ، فجُل فى مجالى ، واعتصم بحبالى ، واطمس رمسك برسمك البالى ولا تُبالى ، وفى ذلك أقول :

أَرَاكَ مُعَـذّبى يَا نُـورَ عَيْنِى ... وَقَلْبِى فِيكَ قَـدْ أَصْفَى الودادا
فإنْ أَرْضَـاكَ إِبْعَـادِى وَطَـرْدِى ... عَـلَى رَأْسِى وَلَوْ أَضْنَى الفُؤَادا
فَيـا لله مَـا أَهْنَـا مُحبًّـا ... إِلى أَحْبَـابِهِ أَلْقَى القِيَـادا

* * *

(١) الدنية : (الدَّنِيءُ) بالمد الخسيس الدون . وقد (دَنَأَ) يَدْنَأُ بالفتح فيهما (دَنَاءةً) بالفتح والمد ، و (دَنُؤ) أيضاً من باب سهل ، و (الدَّنِيئةَ) بالمد النقيصة . وقد سميت (الدُّنيا) لدنوها .

(٢) الردية : (الرَّدِئ) بالمد الفاسد ، و (أَرْدَأَه) أفسده .

إِشَـارَةُ دُودَةِ القــزّ (*)

ثم التفتُّ فإذا دودة القزّ ممدودة ، وليست فى الجملة معدودة ، فقالت : تالله ليست الرجولية بالصور والهياكل ، ولا الفحوليَّة بترك المشارب والمآكل ، كَلَّا ، ولا الإيثار ببذل الآثار ، وإنما الجَواد من جاد بوجوده ، ثمّ آثر بحياته ووجوده ، فإن كانت خصال الخير معدودة ، فأجملها مع دودة ، أنا فى الدود كَدودة (1) ، ولأهل الودّ وَدودة ، وأنا المتولدة ، من غير

(*) **دودة القــز** : بيض دودة الحرير أو القز تكون فى حجم بزر التين ، فإذا جاء فصل الربيع خرج من كل بيضة منها دودة ، فإذا خرج أطعم ورق التوت الأبيض فيكبر تدريجيًا حتى يصير فى حجم الأصبع ، ثم ينتقل من اللون الأسود إلى الأبيض رويداً رويداً فى مدة ستين يوماً ، ثم يأخذ فى النسج على نفسه ، وما الخيوط التى يخرجها من فيه إلّا مادة لزجة متى لامست الهواء جفت ، فلا يزال يخرج تلك المادة ويحيلها إلى خيوط ويلفها حول نفسه حتى يصير كهيئة الجوزة ، فينحبس فيها نحواً من عشرة أيام ، ثم ينقب تلك الجوزة ويخرج منها على هيئة فراش أبيض له جناحان لا يسكنان من الاضطراب ، وعند خروجه يميل للتزاوج فيلصق الذكر ذنبه بذنب الأنثى ويلتحمان مدة ثم يفترقان ، فتبيض الأنثى البيض الذى تقدم ذكره على خرق بيضاء تفرش قصياً ثم يموتان .

قال الشاعر :

وَبَيْضَـة تحضَـن فى يَوْمَيْنِ ... حَتَّى إذا دَبَّتْ عَلَى رِجْلَيْنِ
وَاسْـتَبْدَلَتْ بِلَوْنِها لَـوْنَيْنِ ... حَاكَتْ لَهَا خيساً بلا نيرين
بِـلَا سَـماءٍ وبِـلَا بَـابين ... ونقيتـه بعـد ليلتـين
فَخَـرَجَتْ مَكْحُـولَةَ العَيْنَـيْنِ ... قَدْ صُبِغَتْ بالنَّقْـشِ حَاجِبَـيْنِ
قَصِـيرة ضَـئِيلَة الجَنْبَـيْنِ ... كأَنَّهَـا قَدْ قطعَتْ نِصْـفَيْنِ
لَهَـا جَنَـاحٌ سَـابِغُ البَرْدَيْنِ ... ما نَبْتَـا إِلَّا لِقُـرْبِ الحِـينِ

إنَّ الرَّدى كُحْل لكلِّ عينِ

وقال آخـر :

يُفْنى الحريصُ لجمعِ المالِ مُدَّته ... وللحَـوَادثِ والوُرَّاثِ ما يَدَعُ
كدُودَةِ القـزّ ما تَبْنِيـهِ يُهْلكُهـا ... وغـيرُها بالذى تَبْنِيـهِ يَنْتَفـعُ

(1) **كدودة** : كثيرة الجد والكدّ .

والد ، ولا والدة ، وتلك حالة على الأحوال زائدة ، أُوخَذُ فى البداية كما يأخذ الزارع البذر ، فأحضن [(١)] فى جيوب النساء تارةً ، وفى حُجور [(٢)] الرجال تارة أُخرى ؛ فإذا تمّت أيام حملى ، وأذنت القدرة بجمع شملى ، انفصل من ذلك الحمل نسلى ، وحصل من ذلك الفصل وصلى ، فأنظر فى يوم ميلادى ، فلا أرى لى أباً ولا أُمًّا ، ولا خالًا ، ولا عمًّا ، فتكتنفنى أيدى الرجال والنساء ، بالخدمة والتربية فى الصباح والمساء ، فأحتمى عن تخاليط الأغذية المؤذية ، فلا أُطعَم إلَّا غذاءً واحداً ، فإذا تمّت أيام حولى ، وبدت قوّتى وصولى ، بادرت إلى شكر من أنعم علىّ ، ومكافأة من أحسن إلىّ ، فأشرع فيما يصلح للإنسان قياماً بمأمور ، هل جزاء الإحسان إلَّا الإحسان [(٣)] ، فأبتدر من غيرى دعوى ، ولا إظهار شكوىٰ ، فأنسج بإلهام التقدير ، ما يعجز عنه أهل التدبير ، فأصل من نسج لعابى ، ما أُشكر عليه بعد ذهابى ، وأستخرج من صنعة صانعى ملابسَ تجمّل اللابس ، ومحاسن تضحك العابس ، فالملوك تفتخر بخزّى ، والسلاطين ، تتبختر فى أردية قزّى ، فبى تتجدد الملاعب [(٤)] ، وبنسجى تتجمل الكواعب [(٥)] ، فأنا أجمّل المَطَارِف [(٦)] ، وأزهى الزخارف ، فإذا كافأت من أحسن إلىّ ، وأدَّيتُ ما وجب علىّ ، جعلت بيتى المنسوج قبرى ، ومن طيّه نشرى [(٧)] ، فأضيّق علىَّ حبسى ،

---

(١) **أحضن** : (الحِضْن) ما دون الإبط إلى الكشح ، و (احتَضَنَ) الشىء جعله فى حِضْنه .

(٢) **حجور** : (الحُجْر) حضن الإنسان ، والهدف من حضانة البذر وضعه فى حرارة ثابتة قريبة من حرارة جسم الإنسان .

(٣) فيه إشارة إلى قول الله تعالى فى سورة الرحمن ، الآية (٦٠) : ﴿ هَلْ جَزَآءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ .

(٤) **الملاعب** : جمع مِلْعَبة : ثوب بلا كمّ يلعب به الصبى .

(٥) **الكواعب** : (كَعَبَت) الجارية بدا ثَدْيُها للنهود ، فهى (كَعَابٌ) بالفتح ، و (كاعبٌ) والجمع (كَوَاعبُ) .

(٦) **المَطارف** : أردية من خزٍّ مربعة لها أعلام ، وأصله بالضم ، و (اسْتَطْرَفه) عده طريفاً .

(٧) **نشرى** : (نَشَر) الميت فهو (نَاشِرٌ) عاش بعد الموت ، ومنه يوم (النُّشور) ، و (أَنْشَرَه) الله تعالى : أحياه .

وأُهلك نفسى بنفسى ، وأمضى إلى ربى كما مضى أمسى ، ثمَّ لَمْ أَلْبَثْ إلَّا أياماً قلائل ، حتى أخرج فى صورة طائر ، ليعلم كل معتبر أن الله على كل شيءٍ قادر ، ويعلم بحالى صورة البعث والنشور ، وأن الله يبعث من فى القبور ، فأنا الذى أجود بخيرى ، وأهلك نفسى بنفع غيرى ، ثم من مذام[1] هذه الدار ، المجبولة على الأكدار ، أننى ابتليت بحسد الجار ، وقد اعتدى عليَّ ظلماً وجار ، هذه العنكبوت الضعيفة السقيمة المخصوصة بأوهن البيوت ، تجاورنى وتحاورنى ، تقول لى نسجٌ ولك نسج ، فأمرى وأمرك مزيج ، ونحن سواءٌ فى الحِرَف ، ولا فخر لك عليَّ ولا شَرَف ، فقلت لها : ويحك ، لا سواء بيننا ، هذا نسيجك شبكة للذباب ، ومجمع للتراب ، ونسجى زينة الكواعب الأتراب[2] ، ويحك أما أنت الذى نطق بوهنك الكتاب فى الأزل[3] ، وضرب بضعفك المثل ، وأين التكحّل ، من الكَحَل ، وفى ذلك أقول :

إنِّى نَسَجْتُ القزّ مِنْ لُعَابْ ... سرُّ الإلٰه المَلِكِ الوَهّابْ
يَا مَنْ أتى مقلّداً فعالنا ... هَلْ تَسْتَطِيعُ مَلْبَس الأثْوَابْ ؟
مَنْ لَا يَكُونُ نَافِعاً لِغَيْرِهِ ... فَهُو الذى فِيما ادّعَى كذّابْ

* * *

---

(١) مَذَام : (الذَّمُّ) ضد المدح . وقد (ذَمّه) فهو (ذَمِيم) ، و (أَذَمّ) الرجل أتى بما يُذم عليه ، والبخل (مَذَمَّةٌ) بفتح الذال : أى ما يذم عليه وهو ضد المحمدة .

(٢) الأَتْـرَاب : (التِرْب) بالكسر : اللدة المتماثل ، وجمعه (أَتراب) .

(٣) فيه إشارة إلى قول الله تعالى فى سورة العنكبوت ، الآية (٤١) : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .

. إشَـارَةُ العَنْكَبُـوت (*)

قالت العنكبوت : لئن كان بيتي أوهن البيوت ، وحبلي كما زعمت مبتوت ، فإن فضلي عليك في سجلّ الكتاب مثبوت ، فأمّا أنا فما لأحدٍ عليَّ مِنَّةٌ (1) ، ولا لأمٍّ عليَّ حِنّة ، أنا من حين أُولد ، أنسج لنفسي في جميع الأوقات ، فأسلم من مِنَّةِ الآباء ، وحنّة الأُمهات ، فأوّل ما أقصد زاوية بيت ، وإن كان خراباً فهو أحسن ما أويت ، فأقصد الزوايا ، لما فيها من الخبايا ، ولما في سرّها من النكَت والخفايا ، فأُلقي لعابي على حافتها ، حذراً من الخُلطة وآفاتها ، ثم أُفْرِد من طاقات غزلي خيطاً دقيقاً رقيقاً منكساً في

(*) **العنكبوت** : حشرة معروفة ذكورها أصغر أجساداً من إناثها ، وهي أكالة اللحم ، فإذا انقضت على فريستها نفثت فيها سماً يوقف حركاتها ، فلا تستطيع الدفاع عن نفسها ، وهي تبيض بيوضاً تخرج منه صغارها بشكلها النهائي ، أي أنها لا تتشكل في أطوار متعاقبة كبعض الحشرات ، وهي تغتذي من الحشرات التي تصطادها بالشبكة التي تمدها على جدران البيوت ، فتصنع تلك الشبكة من مادة تفرزها لها غدد في باطنها محتوية على سائل لزج تخرجه من فتحة صغيرة فيتجدد بمجرد ملامسته للهواء ويصير خيطاً في غاية الدقة .

والعنكبوت على وزن (فَعْلَلُوت) واحدة العناكب ، وكنية ذكر العناكب : أبو خيثمة ، وأبو قشعم ، والأنثى أم قشعم . وقد ورد في الأمثال : أغزل من العنكبوت ، أوهى من بيت العنكبوت (يضرب به المثل في الوهن والضعف) .

قال جرير :

تَبـدو فَتُبْـدى جَمَـالًا زَانَـهُ خفـر   إذَا تَـزَأْزَأَتْ السُّـود العَنَـاكِيبُ

وقال أحد الشعراء في ذم الدنيا :

إنَّمـا الـدُّنيـا عَنـاءٌ   لَيْـسَ للدُّنْيَـا ثُبُـوتْ
إنَّمـا الـدُّنيـا كَبَيْتٍ   نَسَـجَتْهُ العَنْكَبُـوتْ

(1) منة : (مَنَّ) عليه أنعم ، و (المَنَّان) من أسماء الله تعالى ، و (مَنَّ) عليه : أي (امْتَنَّ) عليه ، و (منّة) أيضاً يقال : المِنَّةُ تهدم الصَّنيعة ، ورجل (مَنُونة) كثير (الامتنان) .

الهواء ، فأتعلق به مسبلًا يدىّ ، ممسكاً برجلى ، فيظن الغِرّ[1] بتلك الحالة ، أننى ميّت لا محالة ، فتمرّ الذبابة بى فأختطفها بحبائل كيدى ، فأودعها شبكة صيدى ، فإن كان لك الفَخَار ، فيما تنسجينه من زخارف هذه الدار ، فأين كنتِ منى ليلة الغار ، وأنا أستر النبىّ المختار ، وأصدّ عنه صناديد الكُفّار ، وأردّ عنه ما لا يرده المهاجرون والأنصار ، فلىّ عليك الشرف والفخار مذ حجبتُ عنه الأبصار ، وكذلك رفيقه أبو بكر شيخ الوقار ، وكذلك صاحب ذى الفَقَار[2] ، الذى فداه بنفسه فى الدار[3] ، فأنت أيها الغرّار ، الذى هو بزخرفه غرّار ، إنما جعلت زينة للنساء الناقصات العقول ، وللصبيان الذين لم يدركوا معقول ، وقد حُرّمت على الرجال الفحول ، فما لك فى الحقيقة محصول ، ولا إلى الطريقة وصول ، وفى ذلك أقول :

أيّها المُعجَب فَخْراً ... بمقَاصِيرِ البُيُوتِ
إنّما الدُّنيا مَحَلٌّ ... لِقِيَام وَقُنُوتِ
وَغَداً تَنْزِلُ لَحْداً ... ضَيّقاً بعد التخُوتِ
بَيْنَ أقوام سُكُوتٍ ... نَاطِقَات فى الصمُوتِ
فَاتّخِذْ بَيْتاً ضَعِيفاً ... مِثْلَ بَيْتِ العنكَبُوتِ
وارضَ فى الدُّنْيا بثوبٍ ... وَمِنَ العَيْشِ بِقُوتِ
ثُمّ قُلْ : يا نَفْسُ هَذَا ... بَيْتُ مَثْوَاكِ فموتِ

* * *

(١) الغِـرّ : رجل (غِرّ) بالكسر ، و (غَرِيرٌ) أى غير مجرب ، وجارية (غِرّة) ، و (غَرِيرة) . وقد (غرّ) يَغِرُّ بالكسر (غَرَارةً) بالفتح والاسم (الغِرّة) بالكسر ، والغِرّة أيضاً الغَفْلة ، و (الغارُّ) بالتشديد الغافل .

(٢) ذُو الفقار : اسم سيف النبى ﷺ ، ويقصد بصاحبه : الإمام علىّ – كرم الله وجهه – .

(٣) فيه إشارة إلى ما حدث ليلة هجرة الحبيب المصطفى ﷺ من مكة إلى المدينة ، حين اختفى داخل المغارة .

إِشَـارَةُ النَّمْـلَة (*)

فبينما أنا متردِّدٌ بين هذه الإشارات ، متفهم لهذه العبارات ، إذ حانت منى التفاتة ساهى [1] ، متفكر فى الأحوال ما هى ، إذ رأيت نملة تتخير لنفسها المسالك ، وتتوقى فى خطراتها المهالك ، فنادتنى النملة : إذا رماك الدهر بمرمى ، فَنَمْ له ، وإذا رأيت من تهيَّأ للسير فسر قبله ، ولا تكن فى تدبير عيشك أبله [2] ، تعلّم منى قوة الاستعداد ، وتحصيل الزاد ليوم المعاد ، انظر إلى عزّة عزمى ، وصحة حزمى ، وتأمَّل كيف شدّت يدُ القدرة

(*) النمـل : من الحيوانات التى تعيش مجتمعة تتعاون فى شؤون حياتها ، وتتساعد فى أمور بقائها ، فهى أمم وشعوب كأمم وشعوب البشر ، لها نظام كنظاماته ، وهى من أعجب الحيوانات وأدعاها للتأمل .

وهو معروف بحرصه على جمع الغذاء ، يتخذ قرى تحت الأرض فيها منازل ودهاليز وغرف وطبقات يملؤها حبوباً وذخائر للشتاء .

والنمل واحدته نَمْلَة والجمع نِمال . وسميت النملة لتنملها ، وهو كثرة حركتها وقلة قوائمها . كنيته : أبو مشغول .

ومما جاء عنها فى الأمثال : أجمع من نملة ، وأكسب من نملة .

قال عبيد الله بن أحمد الميكالى :

ارْضَ مِن دُنيـاكَ بالقُـو ... تِ وإنْ كَانَ يَسـيرا
فهـلاكُ النَّمْـلِ أنْ يُكْـ ... ـسَى جنَـاحاً فَيَطِـيرا

وقال تاج الدين اليمنى فى منزل لأحد الشعراء كثير النمل :

مَالى أرَى مَنْزِلَ المَوْلَى الأديبِ بِهِ ... نَمـلٌ تَجمَّـعَ فى أرْجَـائِهِ زُمَـرا
فَقَـالَ : لَا تَعْجَبَنْ من نَمْـلِ مَنْزِلِنـا ... فالنَّمْـلُ مِن شأنها أن تَتْبَـع الشُّـعَرا

(١) ساهى : (السَّهْو) الغفلة . وقد (سَهَا) عن الشىء ، فهو (سَاهٍ) ، و (سَهْوانُ) .

(٢) أبله : رجل (أبله) بين (البَلَه) ، و (البَلَاهة) وهو الذى غلبت عليه سلامة الصدر ، والمرأة (بَلْهَاء) ، وفى الحديث : « أكثر أهل الجنة البُلْه » يعنى البله فى أمر الدنيا لقلة اهتمامهم بها وهم أكياس فى أمر الآخرة . هذا هو معنى كلمة (أبله) ولكن الناس أطلقوا كلمة (أبله) على الذى به تخلف فى عقله أو عبط .

للخدمة وسطى فاغنتنى عن حَلّى وَرَبْطى ، فأوّل ما فتحت عينىَّ من فراش العدم ، رأيتنى قائمة على باب القَدَم ، قد خَصرت يد اللطافة خُصرى ، لأكون من جملة الخَدَم ، ثم كُلِّفتُ جمع المؤونة لتيسير المعونة ، ثم أُعطيت قوة الشمّة ، من الأماكن البعيدة ، فأدركت بالشم من بُعد الفَرَاسِخ ما لم يدركه ذو العلم الرَّاسخ ، ثم أُلهمت بالتقدير حُسن التدبير ، فأدبّرُ ما أحصله من الحبّ لقوتى وأجمعه فى بيوتى ، فيلهمنى فالق الحبّ والنوى(١) ، أن أفلق الحبّة نصفين بالسَّوَا ، فإن كانت الحبّة كزْبرة ، فلها عندى حكمة مدبّرة ، وهو أن أفلقها أربع فلق بقوة رب الفلق ، لأنى إذا فلقتها نصفين بالسوا نبتت ، وإذا فلقتها أربعاً انقطعت ، فإن خفت على الحب فى الشتاء عفن الأرض وغلبة الرطوبة المحض أخرجته فى يومٍ شامس ، لتجففه الشمس بحرّها ، فلم يزل هذا شعارى ، وذلك دأبى بين أترابى ، وأنت تعتقده فىَّ نقصاً ، وانهماكاً على الدنيا وحرصاً ، كلَّا واللَّهِ لو علمت حقيقة أمرى لأشعت بين العالمين ذكرى ، ولأقمت فى ذلك عذرى ، وارتفع عندك قدرى ، اعلم أنَّ للَّهِ جنوداً لا يعلمها إلَّا هُو(٢) ، فجيوش النمل تحت الأرض ، لا يحصرون بطول ولا عرض ، كلّهم قائمون فى طاعة الله ، متوكلون عليه لا يتكلون على غيره ، ولا يلتفتون إلى سواه ، فيقوم منهنَّ من يريد أن يقوم عليهن ، فيستأذنهن تذللًا أن يأذن لَهُ تفضلًا ، ليذهب فى تحصيل قوتهن ، إذ هنّ متكلات على الله فى بيوتهن ، فإن أذن لواحدة منهن خرجت بلا خِلاف ، مبايعة نفسها على التلاف ، تنشد بلسان حالها عند ارتحالها :

عَلَيْكُم سَلَامُ اللَّهِ إنّى مودِّعٌ ... وَعَيْنَاىَ مِنْ خَوفِ التَّفرّق تَدْمَعُ

---

(١) النّوى : الذى هو جمع (نَوَاةٍ) التمر ، فهو يذكر ويؤنث ، وجمعه (أَنْواء) .

(٢) فيه إشارة إلى قول الله تعالى فى سورة المدثر ، الآية (٣١) : ﴿ ... وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ... ﴾ .

فإنْ نَحْنُ عِشْنَا يَجْمَعُ اللَّـهُ بَيْنَنَا   وإنْ نَحـنُ مِتْنَـا فَالقِيَـامَةُ تَجْمَـعُ
وَمَا الدَّهْـرُ إلَّا جَـامِعٌ ومفـرِّقٌ   وَمَا النَّـاسُ إلَّا رَاحِـلٌ وَمُـوَدِّعُ

فتجتهد فى سيرها ، وتحصل خيرها لنفع غيرها ، متعرِّضة للهلاك ، ومصايد الأشراك ، فإما أن تهلك عطشاً أو جوعاً ، وإما أن تقع فى مغارة لا تستطيع رجوعاً ، وإما أن تطأها دابّة ، أو تخطفها ذبابة ، أو يقتنصها طائر ، أو يدوسها حيوان سائر ، فمنا من يموت على الإخلاص ، ومنا من يُقدَّر لها الخلاص ، فتعود إلى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر (١) ، فتُلقى ما معها بين أيديهم ، وتقسم عليهم من غير خصوص ، ولا حظّ منقوص ، فهذه صفات أهل الخصوص ، فإن كنت بالقبول مخصوص ، فأنت التائب بالنصوص ، وإن كان جناح عزمك عن العمل مقصوص ، فما لك فى ديوان السابقين نصوص .

قال : فلما رأيت ما رأيت ، ووعيت ما وعيت ، وعلمت أن الكلّ من عنده ، وإن من شيء إلَّا يسبح بحمده (٢) ، وإن من كان له حسن فكرة ، كان له فى كل نظرة عبرة ، فإياك والفَتْره (٣) ، فما بعد النصح إلا ذلة الحسرة ، وفى ذلك أقول :

اقنـعْ بِيَسِيرِ العَيْشِ مَعَ بَقْلة (٤)   فَلَيْـسَ يَنْسَى رَبُّـكَ النَّمْـلَةَ
إنْ أَقْبَـلَ الدَّهْـرُ قُمْ قَائِماً   وإنْ تَـولَّـى مُـدْبِـراً نَـمْ

وفى ذلك أقول أيضاً :

تَشَبَّه بالرِّجالِ وَكُنْ حَليماً   لَعَـلَّكَ أَنْ تَشُـمَّ لَها نَسِيما

---

(١) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأحزاب ، الآية (٢٣) .
(٢) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الإسراء ، الآية (٤٤) .
(٣) الفتره : الانكسار والضعف .
(٤) بقلة : (البَقْلُ) معروف . الواحدة (بَقْلة) ، والبقلة أيضاً : الرِّجْلة ، وهى البقلة الحمقاء . و (المَبْقلة) موضع البقل ، وقيل : كل نبات اخضرت له الأرض ، فهو (بَقْلٌ) .

وَصَاحِبهُمْ لعلّكَ تَستَقيما   عَسَى رجلٌ يكون الخيرُ فيهِ
وزاحمْهُمْ وخيمْ فى حِماهُمْ   فتصبح من تأنسه نديما
فما كلُّ الرِّجالِ لَهُ مكانٌ   وَلَا كلُّ الرِّجالِ يَكونُ حَكِيما
وَبَالبابِ الشَّريف فَقِفْ وَلَازمْ   وَقُوفَكَ فِيه كَيْ يُرَاعِى خَدِيما
وَقُمْ لجنابِ رَبِّكَ كُلّ وَقْتٍ   فَهَذَا الرَّبُّ لم يبرحْ رَحِيما
وَقُمْ تَحتَ الظَّلامِ لَهُ مُنَاجٍ   بإخْلَاصٍ تَرَى مَلِكاً عَظِيماً
وَأفلاكٍ وأمْلاكٍ ومُلْكاً   وَوَقْتٍ لَا تَرى فِيه حَمِيماً
ورَبٌّ فى أحَبَّته تجلَّى   فأَهْداهُم وَأَعْطَاهُمْ نَعِيماً
وحَيَّاهم وأَسْقَاهُم سَمِيراً   بكأْسِ الأُنْسِ مَشْرُوباً قَدِيماً
فَما بِزُجَاجَةٍ شَرِبُوه صافٍ   وَلَيْسَ مَرامَهُمْ شيئاً ذَمِيماً
وما طُبِخَتْ بِنَارٍ وإِنَاءٍ   ولا عَصَتْ وَلَا ذَاقَتْ أَلِيما
وَلَيْسَ لَهاَ أَبٌ تعزى إليه   ولا أمٌّ ولَا تَلِدُ عَقِيماً
فَسَلْ ربَّ السَّماء يسقيكَ مِنْها   بكأْسٍ كى تكونَ له قَسِيما
وإِنْ تكُ طَالباً لَا شَكَّ فَاجْعَل   وَسِيلَتَكَ النَّبىّ الهَادِى الأَمِينَا (١)

* * *

(١) فى هذا توسل بحضرة النبى ﷺ وفيه خلاف بين العلماء يُطلب فى مظانه (المصحح) .

إشَــارَةُ العَنْقَــاء

قال الشيخ قدَّس الله روحه ، ونور ضريحه : فى إشارة ضرب الأمثال لكم البشارة يا أهل الإشارة ، إن فهمتم رمز هذه العبارة ، فأنصتوا لضرب الأمثال المستعارة ، فالمعانى لمن عُنيتَ ولكن الحديث لكى يا كنّهْ [1] فاسمعى يا جاره :

اجتمع الطيور وقالوا : لابدّ لنا من ملك نعترف له ونُعْرَفُ به ، فهلمّوا ننطلق فى طلبه ، ونعتصم بحبله ، ونعيش فى ظلّه ، فقد بلغنا أن فى جزائر البحر عَنْقاءَ مُغْرِب ، ينفذ حكمه فى المشرق والمغرب ، فهلموا ننطلق إليه ، متكلين عليه .

فقيل لهم : إن البحر عميق ، والطريق مضيق ، والسبيل سحيق ، وبين أيديكم جبال شاهقة ، وبحار مُغرقة ، ونيران مُحرقة ، ولا سبيل لكم إلى الاتصال ، ولو تقطّعت بكم الأوصال ، فاقعدوا فى أوكاركم ، واعترفوا بإنكاركم ، فإن العجز من شأنكم ، والملك غنىٌّ عنكم ، وإن الله لغنى عن العالمين [2] ، أما سمعتم صائح الحذر يصيح ويُحذِّرُكم اللَّهُ نفسه [3] ، قالوا : صدق ولكن منادى القدر ينادى ففرّوا إلى الله [4] .

فطاروا بأجنحة يتفكرون فى سبيلٍ عدلٍ ، إن أخذوا ذات اليمين أخذتهم برودة الرجا ، وإن عدلوا ذات الشمال أحرقتهم حرارة الجوى [5] ، فهم بين

---

(١) كُنْه : الشىء نهايته ، يقال : أعرفه كنه المعرفة .

(٢) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة العنكبوت ، الآية (٦) .

(٣) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة آل عمران ، الآيات (٢٨ - ٣٠) .

(٤) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الذاريات ، الآية (٥٠) .

(٥) الجَوَى : الحرقة وشدة الوجد .

سباق ، ولحاق ، ومحاق (١) ، واحتراق ، وتلاشٍ ، وافتراق ، واستغراق ، حتى وصل منهم من وصل إلى جزيرة الملك ، قد سقط ريشه ، وتكدّر عيشه ، وتضاعف نحوله ، وتزايد ذبوله ، وصلوا إليه خماصاً (٢) ، بعد أن كانوا بطاناً .

فلما نظروا إلى جزيرة الملك ، وفيها ما تشتهي الأنفس ، وتلذ الأعين (٣) ، فمن كان همّته فى المأكل والمشرب ، قيل لهم : كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية (٤) ، ومن كان همّته فى الملابس والنفائس ، قيل لهم : يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين (٥) ، ومن كان همّته التمتع بالعرائس ، قيل لهم كذلك وزوجناهم بحور عين (٦) .

فأما أهل الأنفة قالوا : سبحانك اللهم وبحمدك ، إذا كان ثمَّ اشتغال بمأكول ومشروب ، فمتى يتفرّغ المحبّ للمحبوب ، ومتى ينال الطالب شرف المطلوب ؟ فالدون (٧) كلّ الدون ، من رضى بصفقة المغبون (٨) ، نحن لا نريد إلّا الملك ، الذى خرجنا من أجله على المحاجر (٩) ، وقطعنا كل

---

(١) **محاق** : (مَحَقَه) أبطله ومحاه ، و (مَحَقَه) الله ذهب ببركته .

(٢) **خماصاً** : (الخَمْصَة) بالفتح : الجوعة ، يقال : ليس للبطنة خيرٌ من (خَمْصَةٍ) تَتْبَعُها . و (المَخْمَصَة) المجاعة ، وهى مصدر كالمغضبة والمعتبة . وقد (خَمَصه) الجوع ، و (مَخْمَصَة) أيضاً .

(٣) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الزخرف ، الآية (٧١) .

(٤) فيه إشارة إلى قول الله تعالى فى سورة الحاقة ، الآية (٢٤) : ﴿ **كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِى الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ** ﴾ .

(٥) فيه إشارة إلى قول الله تعالى فى سورة الدخان ، الآية (٥٣) : ﴿ **يَلْبَسُونَ مِن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ** ﴾ .

(٦) فيه إشارة إلى قول الله تعالى فى سورة الدخان ، الآية (٥٤) : ﴿ **كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ** ﴾ .

(٧) **الدُّونُ** : الحقير . قال الشاعر :

إذا ما عَلَا المرءُ رامَ العـلَا ... ويقنعُ بالدُّونِ من كان دُونَا

(٨) **المغبون** : (غَبَنَه) فى البيع : خدعه . وقد (غُبِنَ) فهو (مَغْبون) ، ويقال أيضاً : (غَبِنَ) رأيه إذا نقصه فهو (غَبِينٌ) أى ضعيف الرأى .

(٩) **المحاجر** : العيون ، وهى جمع (مَحْجَر) أى العين .

حاجر ، وصابرنا ظماء الهواجر[1]، كيف يقول ومن يخرج من بيته مهاجر[2]، ثم يشتغل بالملابس والمفاخر ، فهو الذى لا إلٰه إلَّا هو ، ولا نريد إلَّا هو .

فقال لهم الملك : فلأى شىء جئتم ؟ وبأى شىء أتيتم ؟

قالوا : أتيناك بذلّة العبيد ، وإنك لتفعل ما تريد .

فقال لهم : ارجعوا من حيث أتيتم ، أنا الملك إن شئتم أو أبيتم ، وإن الله لغنىٌّ عنكم .

قالوا : هو الغنى ونحن الفقراء إليه ، وهو القوى ونحن الضعفاء لديه ، فبأىّ قوةٍ نرجع وقد ذهبت قوانا ، وتحللت عُرانا[3]، واضمحل[4] وجودنا ممَّا عرانا ؟

فقال لهم الملك : إذا صحّ افتقاركم ، وثبت عندى انكساركم ، فعلىَّ جِبَاركم[5]، اذهبوا فداووا العليل فى ظلّ الظليل ، وقِيلوا فى خير مستقر وأحسن مقيل[6]، فمن استولت عليه حرارة الشوق فليشرب من كأسٍ كان مزاجها كافورا ، ومن غلبت عليه برودة الرجا فليشرب من كأس كان مزاجها زنجبيلا ، ثم يقال للعاشق : أشرب من عينٍ تسمى سلسبيلا ، فإذا تمت الحمية ، وحصلت البغية ، فقدموا العليل إلى طبيبه ، وقرّبوا المحبّ إلى حبيبه ، فلقّاهم نضرة وسرورا ، ونقّاهم فسقاهم شراباً طهورا[7]، فسكروا

---

(١) **الهواجر** : (الهَجْر) بالفتح ، و(الهَاجرَة) ، و(الهَجيرُ) نصف النهار عند اشتداد الحرارة ، و(التهجير) ، و(التَّهجُّر) السير فى الهاجرة .

(٢) فيه إشارة إلى قول الله تعالى فى سورة النساء ، الآية (١٠٠) : ﴿ ... **وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ** ... ﴾ .

(٣) **عـرانا** : قوانا .   (٤) **اضمَحَل** : الشىء ذهب .

(٥) **جبـاركم** : (الجبر) أن تغنى الرجل من فقر أو تصلح عظمه من كسر . و(جَبَر) الله فلاناً (فاجتبر) أى سد مفاقره .

(٦) **مقيـل** : (القائلة) الظهيرة ، يقال : أتانا عند القائلة . وقد يكون بمعنى (القَيْلُولة) أيضاً ، وهى النوم فى الظهيرة .

(٧) الجمـل السابقة فيها إشارة إلى قوله تعـالى فى سورة الإنسان من الآيات (٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ١١ ، ٢١) .

فغنى لهم فطربوا ، ثم استزاروا فزاروا ، ثم استجيبوا فطاروا بأجنحة الأنس ، فإذا هم فى حضرة القدس ، فسقطوا ليلتقطوا حبّة المحبّة ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر (١) ، فحوصلوا حين حَصَلوا ، واتّصلوا حين وصلوا ، فنظروا فإذا الحجب قد رُفعت ، والأكواب قد وُضِعت ، والأحباب قد جُمعت ، فقل لأُذنٍ قد سمعت :

يا قَلْبُ بُشْرَاكَ أيّامَ الرِّضَا رَجَعت   وَهَـٰذِهِ الدَّارُ بالأَحْبَابِ قَدْ جَمَعْت
أما تَرى نَسمات الحَيّ قَدْ عَبقتْ   أَنْفَاسُها وبروقُ البَرْقِ قَدْ لَمَعَتْ
فَعِشْ هنيئاً بوصلٍ غير مُنْفَصِلٍ   مِمَّن تحبّ فَحُجُب الهَجْرِ قَدْ رُفِعَتْ
وانظرْ جَمَالَ الذى مِنْ أجلِ رؤيتِهِ   قُلُوب عُشّاقِهِ من حبه انْصَدَعَتْ

* * *

تم الكتاب (٢) بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، على يد الفقير محمد ابن يحيى الربحاوى ، يوم السبت فى العشر الأخير من شهر ذى القعدة من شهور سنة اثنين وثمانين وتسعمائة ، غفر الله له ولوالديه ولمن قرأ فيه ، ولجيمع المسلمين .

والحمد لله رب العالمين .

* * *

---

(١) فيه إشارة إلى قوله تعالى فى سورة القمر ، الآية (٥٥) .

(٢) ما أثبته فى المتن فى نهاية نسخة مكتبة دار الكتب المصرية .

* أما نهاية نسخة مكتبة الشيخ نجم فقد ورد كالآتى : تم كتاب كشف الأسرار فى لغة الطيور والأزهار وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين ، وذلك على يد الفقير يوسف بن خضر الشربينى غفر الله له ولوالديه أمين أمين .

* وأما نهاية نسخة مكتبة طلعت فقد وردت كالآتى : وكان الفراغ من كتابته فى يوم الأربعاء سابع عشر شوال الخير من شهور سنة إحدى عشر ومائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، على يد كاتبه العبد الفانى محمد محيى الدين إمام زاوية سيدى عبد الوهاب الشعرانى .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- **أحلى الكلام فيما قيل فى الحمام** : إبراهيم بن عبد الله الحازمى - دار الشريف للنشر والتوزيع بالرياض - الطبعة الأولى سنة ١٤١٣ هـ .
- **أناشيد الطبيعة** : على النيفر - الدار العربية للكتاب سنة ١٩٨٣م .
- **تبارك الرحمن** : شعر حسن البحيرى - دار الفكر بدمشق - الطبعة الأولى سنة ١٩٨٣م .
- **حياة الحيوان** : للإمام الدميرى .
- **الحيوان** : للجاحظ - مصطفى البابى الحلبى - الطبعة الثانية سنة ١٩٥٠م .
- **الحيوان فى الأدب العربى** : شاكر هادى شاكر - عالم الكتب سنة ١٩٨٥م .
- **دائرة معارف القرن العشرين** : محمد فريد وجدى - دار المعرفة - بيروت سنة ١٩٧١م .
- **عجائب المخلوقات** : القزوينى - دار التحرير للطبع والنشر سنة ١٩٦١م .
- **القاموس المحيط** : الفيروزآبادى - المطبعة الحسينية المصرية سنة ١٣٣٠هـ .
- **القرآن وعالم الحيوان** : الدكتور عبد الرحمن محمد حامد - الدار السودانية للكتب .
- **كفاية المتحفظ فى اللغة** : لابن الأجدابى ، تحقيق السائح على حسين - دار اقرأ للطباعة والنشر - طرابلس - ليبيا .

● **المحب والمحبوب والمشموم والمشروب** : كتاب المشموم - السرى بن أحمد الرفاء - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .
● **مختار الصحاح** : عبد القادر الرازى - المطبعة الأميرية سنة ١٩٥٣م .

* * *

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة

* * *

من منشورات دار الفضيلة

مِنْ كُنُوزِ التُّرَاثِ العربيّ

(١)

نَوَادِرُ الأَعْرَابِ

طرائفهم وفكاهاتهم

في الطَّعامِ والشَّرابِ
والبخلِ والكرمِ والزَّواج

أحمد عبد التواب عوض

من منشورات دار الفضيلة

تاريخ النبات عند العرب

للعلامة الدكتور

أحمد عيسى بك

قرأه وعلق عليه ووضع فهارسه

أحمد عبد التواب عوض

رقم الإيدع بدار الكتب المصرية ٩٩٦٣ / ١٩٩٥م

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى — ١١٢٣١